

# الصعاليك

مجلة مراقبة إخبارية إلكترونية

ثقافية سياسية فكرية

Alsaalek Journal

## على حافة الرصيف

لم تكن انتفاضة تشرين التي انطلقت في الأول من أكتوبر/تشرين الأول 2019 مجرد موجة احتجاجية عابرة في تاريخ العراق الحديث، ولم تكن محصورة في غضب شبابي إزاء البطالة وسوء الخدمات وتراجع فرص الحياة الكريمة. لقد كانت لحظة كاشفة عن اتساع الهوة بين المجتمع والطبقة السياسية الحاكمة، وعن وصول قطاعات واسعة من العراقيين إلى قناعة بأن الأزمات التي تحاصر حياتهم ليست مجرد أخطاء إدارية يمكن معالجتها ببعض القرارات، بل ترتبط بطبيعة النظام السياسي وآليات إدارة الدولة وتوزيع السلطة والثروة.

ومع حلول الذكرى السابعة للانتفاضة، يعود السؤال الذي لم تفقده السنوات الماضية أهميته: ماذا تغير في العراق منذ أن خرج مئات الآلاف من المواطنين إلى الشوارع والساحات مطالبين بوطن يستحقونه، ودولة تحترم حقوقهم، وحياة لا تتحكم فيها المحاصصة والفساد والبطالة وانعدام العدالة؟ وهل تمكنت الحكومات المتعاقبة من تحويل التضحيات التي قدمها المتظاهرون إلى مشروع حقيقي للإصلاح، أم أن منظومة الحكم استوعبت الصدمة الأولى، ثم واصلت إدارة البلاد بالأساليب ذاتها التي دفعت الناس إلى الاحتجاج؟

لم تكن الإجابة عن هذه الأسئلة سهلة، لكن الوقائع المتراكمة تجعل من الضروري إعادة قراءة تشرين، ليس باعتبارها ذكرى نستعيد فيها صور الشهداء والجرحى وشعارات المتظاهرين فحسب، بل بوصفها تجربة سياسية واجتماعية لا تزال نتائجها مفتوحة، ومستقبلها مرتبطاً بقدرة المجتمع العراقي على تحويل الوعي الذي أنتجته الانتفاضة إلى قوة تغيير مستدامة.

### من المطالب المعيشية إلى السؤال عن الدولة

بدأت الاحتجاجات وسط ظروف اتسمت بارتفاع البطالة، وضعف الخدمات العامة، وتراجع فرص الشباب في العمل والمشاركة في الحياة العامة، إلى جانب اتساع الشعور بأن الثروة النفطية الهائلة لا تنعكس بصورة عادلة على حياة المواطنين. لكن سرعان ما اتضح أن الغضب يتجاوز المطالب المباشرة، وأن ما يجمع المحتجين هو رفض منظومة سياسية رأوا أنها أعادت إنتاج المحاصصة الحزبية والطائفية، وحوّلت مؤسسات الدولة ومواردها إلى ساحات للتنافس على النفوذ والمكاسب.

ومن هنا اكتسب شعار «نريد وطناً» معناه العميق. لم يكن الوطن الذي طالب به المتظاهرون مجرد أرض وحدود وعلم ونشيد، بل دولة يشعر المواطن فيها بالمساواة أمام القانون، ويجد فيها فرصاً عادلة للعمل والتعليم، ويتمتع بحرية التعبير والتنظيم، ولا يخشى فيها من إبداء رأيه أو الاعتراض على الفساد وسوء الإدارة.

كان الشعار، بهذا المعنى، تعبيراً عن رغبة في استعادة العلاقة الطبيعية بين المواطن والدولة. فالدولة ليست ملكاً لحزب أو جماعة أو طائفة، وليست غنيمة تنقسمها القوى التي تصل إلى السلطة، بل مؤسسة عامة يفترض أن تخدم المجتمع وتحمي حقوقه وتدير ثرواته لمصلحة أجياله الحاضرة والمقبلة.

كما كشفت الانتفاضة عن تحولات مهمة في الوعي الوطني، ولا سيما بين الشباب الذين رفض كثير منهم أن تُختزل هويتهم السياسية والاجتماعية في الانتماءات الطائفية والحزبية. وقد اجتمعت في الساحات فئات اجتماعية متنوعة، وأصبح التضامن بين المحتجين تعبيراً عن إيمان ببناء هوية وطنية تتسع للاختلافات القومية والدينية والثقافية، من دون أن تجعلها أساساً للتمييز في الحقوق والفرص.

لقد كانت تشرين، بهذا المعنى، احتجاجاً على الواقع، ومحاولة لفتح طريق مختلف نحو المستقبل. غير أن الطريق الذي فتحته الانتفاضة كان محفوفاً بالعنف والمخاطر. فقد واجه المتظاهرون استخداماً مفرطاً للقوة، وسقط مئات القتلى وأصيب آلاف آخرون، فيما تعرض ناشطون للتهديد والاختطاف والاعتقال. وأدت الاحتجاجات، تحت ضغط الشارع، إلى استقالة حكومة عادل عبد المهدي في نوفمبر/تشرين الثاني 2019، وهو تطور سياسي مهم، لكنه لم يكن كافياً لتحقيق التحول الذي طالب به المحتجون. ولم تتمكن من فرض تغيير شامل يتناسب مع حجم مطالبها وتضحياتها.

المحرر



Alsaalek Journal

### “مجلة صوت الصعاليك”

سياسية ثقافية فكرية  
غير ملزمة بنشر كل ما يردها

المقالات المنشورة تُعبر عن رأي كُتابها  
والحرير غير مسؤولة عن محتواها

2021 جميع الحقوق محفوظة  
مجلة صوت الصعاليك

saaleq21@gmail.com  
info@alsaalek.de



ساهم معنا في نشر الحقيقة

الصعاليك

SAJ.Sawt Alsaalek Journal  
www.alsaalek.de

## ”قرار تحميل الفقراء مزيد تكاليف الحياة“ ليس عملا عدائيا، بل إيغال استراتيجي يفضح سلطة المحاصصة



\* ألواح سومرية معاصرة

ما يفضح افتقاد القدرة على لجم السوق الخاضع لفوضى ولافتقاد سيطرة السلطة الاختصاص دع عنك تأثيرات قوانين العرض والطلب والظروف الاجتماعية والسياسية وتداعيات مجريتهما.. بكل ما سيضخه من آثار مأساوية بحيوات الناس كافة..

إن معالجة [العجز] المالي لن يأتي بمزيد تحميل المواطن أعباء الموازنات المختلة بنيويا، فهو الطرف المنهوب مسبقا ولكن الحل يأتي من مطاردة ناهبيه والعمل على لجم الفساد والمفسدين ويلزم لأي قرار وما يفضي إليه أن يتم وجوبا دراسته من الخبراء بصورة دقيقة كيما نتجنب الانزلاق لأية تعقيدات تنقل الناس والوطن المبتلى بفوضى تحمل الشعب أعباءها طوال ما يناهز ربع القرن من تاريخ العملية السياسية ومسار خطاها..

ونحن هنا في المرصد السومري لحقوق الإنسان ومجمل الحركة الحقوقية العراقية، نسأل أصحاب القرار والخبراء عن سبب عدم التوجه إلى منافذ ابتلاع الثروة المتسبب بالعجز؟ بوقت يتخذون قرارا على حساب العملة الوطنية التي تشكل مصدر عيش المواطن وجهة التحكم بظروفه ومجمل مساراته؟؟؟

والنداء اليوم أننا لا بد أن نتحد في كونفيدرالية شعبية يمكنها أن تعمل لانعتاق البلاد وتحرر العباد من قيود الاقتصاد الريعي ومسار نهجه وهو ما يتطلب إرادة وطنية قوية يمكنها أن تحقق التغيير فكمي مزيدا من الخسائر والتراجعات وليعد العمال والطلبة والنساء والشبيبة إلى ميادين الحراك السلمي لا احتجاجا عابرا ولا مناشدة سلبية بلا قيمة بل بإرادة وعزيمة ترقى لمستوى الحدث وتوفير أسس التغيير والانعتاق والتحرر..

هذا القرار لأنه بجوهره وكل تفاصيله؛ سيقع على كواهل الفقراء أنفسهم وفي مسار نهبهم أكثر مما هم منهوبين..

واليوم يبقى القرار قرار الشعب في الدفاع عن حقوقه وحرياته وعن إرادته وكرامته وعيشه الحر بحراك سلمي قوي يمكنه أن يفرض نهجا يوفر مسار البناء والتقدم ومسيرة تنمية وتعظيم الثروة واستثمارها إيجابيا بما يوقف نزيفها لمأرب وأطماع من نهب الشعب طوال ما يربو على ربع القرن.. اليوم القرار للشعب في الرد السلمي الفاعل الذي يحسم المعركة مع مصدر الخراب والاستغلال والوحشية..

إن العراقيات والعراقيين أمام مجابهة هي الأخطر من نوعها مع سلطة تكشف بالمفضوح عن نهج ثابت يعادي مصالح الشعب ويواصل مزيد تخريب للوطن فضلا عن كل ما آل إليه من أوضاع خربة وفقر وتفكك وتشرذم مكونات الشعب..

ومن المؤكد أن القرار سيوقع البلاد بركود أو انكماش وجمود اقتصادي مباشر يشمل الأسواق المحلية مع ارتفاع طردي حاد لأسعار السلع في ضوء السوق الموازية وحجم المضاربات المسعورة ما ينعكس بعنف وقسوة وبشكل مباشر على الواقع التجاري، بخاصة بظروف اعتماد العراق بدرجة مفرطة على إيرادات النفط، التي توفر أكثر من 90% من إيراداته، وذلك من أجل تمويل الواردات إلى جانب (فروض وواجبات) دعم استقرار العملة المحلية \ الدينار فضلا عن تسديد رواتب موظفي الدولة والمتقاعدين.

وحتما سيعني القرار من بين ما يعنيه انهيار القدرة الشرائية للمواطن بصورة مركبة مع تفاقم دور المضاربة في سعر الصرف الذي كان اختلق فجوة بين الرسمي والموازي وهو الأسعار حتى وصل مبكرا لحجم كارثي وهو

دق جرس انكشاف المجريات وما تخفيه بكل تلاعباتها ومناوراتها وتم دق آخر مسمار بعربة الخراب المصطنع الذي يدفع الفقراء تكاليفه وأوزار أسبابه. وقرعت نواقيس نداء للعمل السلمي في الميادين لإنهاء هذا المسلسل الذي سرق ثروات الوطن وحيوات أطفالنا وكرامة نساتنا ورجالنا وما هو القرار بيد الحراك الشعبي بكونفيدرالية شعبية النهج وطنية التوجه علمانية تنويرية لا تراوغ ولا تحتاج للاختباء خلف سبب أو حجة بل هي تمتلك حق تقرير المصير بنضال سلمي وإصرار وعزيمة لإنهاء ما إذا أهمل سيكون الطعنة التي لا قائمة للحريات والحقوق بعدها ولا ساعة من عدم الكفاح السلمي من أجل يومنا وغدنا حرا نستطيع فيه البناء والتنمية والعيش الكريم الرغيد وأنتم الشعب القادر شعب 14 تموز وإنتفاضة أكتوبر العراقية العظمى فلا تترددوا.

**رفع سعر صرف الدولار انحناء للمصالح الأجنبية واستقواء على الفقراء ومصالحهم**

توغل حكومة المحاصصة ببغداد، في نهج الاقتصاد الريعي وتواصل خطى الهروب من تداعيات ذلك الاقتصاد وما يوفره من فرص لجرائم الفساد الخطيرة وما هي تشتمل السوادد عن حل تحاول إيهام أطراف المعادلة فيه بأنه يأتي للخلاص من العجز وتوفير مرتبات العاملين في الدولة! لتقرر اليوم رفع سعر صرف الدولار مقابل العملة الوطنية الأمر الذي سيؤدي حتماً لإيقاع المواطن بمزيد مأزق وحشية الاستغلال في كونه ابتزازاً مفضوحاً وفرضاً لكل ما صَبَّ ويصب بجيوب الفساد والفاستين الذين لم يعانون ولا يعانون من مثل

### إدارة المجلة:

رئيس التحرير..... عصام الياسري

إدارة..... د. أشواق لطفي

رسوم..... الفنان منصور البكري

تصميم: كامل عبدالله... دان ميديا DAN media

تصدر مرتين بالشهر// في أول (1) ومن نصف (15) الشهر.. غير ملزمة بنشر كل ما يردها.

### "صوت الصعاليك" عراقية مستقلة حرة...

انطلقت في 01 يناير 2021 من إيمان راسخ بأن الكلمة الحرة هي السلاح الأمضى في مواجهة الظلم والفساد.. وإن - على مهنة الصحافة ألا تنحاز إلا للحقيقة وحمل هموم الناس المهمشين، ومن لا صوت لهم..

منذ تأسيسها، حرصت على أن تكون منبراً حقيقياً يعكس صوت الشعب ويعبر عن همومه وتطلعاته.

## “من ثورة العشرين إلى ثورة تشرين” حين يتجدد السؤال العراقي



وفي الخطاب السياسي، ويكفي أن معارضيها من الطبقة السياسية يعترفون أمام الرأي العام بأنها كادت أن تطيح بهم لولا (سلاح الميليشيات).

فثورة العشرين، رغم هزيمتها العسكرية، بقيت حاضرة في الذاكرة العراقية بوصفها محطة مهمة في تاريخ المطالبة بالاستقلال والمشاركة السياسية.

أما تشرين، فقد تركت بدورها أسئلة حول علاقة الدولة بالمجتمع، وحدود الإصلاح الممكن، ودور القوى السياسية في حماية الاحتجاج أو احتوائه.

لعل من أهمها: كيف يمكن بناء دولة تكون فيها السيادة والمؤسسات والمساءلة أكثر حضوراً في حياة العراقيين.

قد تتغير الحكومات والتحالفات والشعارات، لكن استمرار هذا السؤال يعكس حاجة إلى إصلاحات سياسية ومؤسسية طويلة الأمد، وإلى قنوات نتيج للمواطنين المشاركة والتعبير من دون اللجوء إلى الشارع بوصفه الوسيلة الوحيدة للتأثير.

اتخذت جهات أخرى موقفاً متحفظاً، أو رأت أن الاحتجاجات قد تؤدي إلى اضطراب سياسي وأمني. أما الخيبة الكبرى، فهي ممن أعلن في مرحلة مبكرة دعمه للاحتجاجات، قبل أن ينسحب أنصاره من ساحات الاعتصام في كانون الثاني 2020، في خطوة اعتبرت إضعافاً للثورة، بل وأد لها!

وفي المقابل، أفرزت تشرين نتائج سياسية واجتماعية متعددة. فقد ساعدت في إعادة قضايا مثل مكافحة الفساد، وإصلاح النظام الانتخابي، واستقلال القرار الوطني، إلى صدارة النقاش العام. كما أسهم الضغط الشعبي في إجراء تعديلات على قانون الانتخابات وتغيير مفوضية الانتخابات، وأدى إلى انتخابات مبكرة عام 2021. ومع ذلك، لم تتمكن القوى المنبثقة عن الاحتجاجات من تحويل حضورها الشعبي إلى نفوذ سياسي واسع، بسبب الانقسامات الداخلية، وصعوبة العمل ضمن نظام انتخابي وحزبي معقد، أو ببساطة لم تكن تلك القوى وطنية بما يكفي للصمود أمام المناصب!

وفي الوقت نفسه، لا يمكن تجاهل الكلفة الإنسانية للاحتجاجات. فقد قتل وأصيب الآلاف الشباب العزل، وتعرض الناشطون للتهديد والاعتقال والاختطاف والملاحقة والاعتقال.

ومع ذلك، يصعب اختزال تشرين في نتيجة سياسية مباشرة، سواء بالنجاح الكامل أو الإخفاق الكامل. فقد تراجعت الاحتجاجات الواسعة، لكن أثارها بقيت في الوعي العام،

### ماذا بعد؟..

على جميع القوى والأحزاب السياسية، داخل السلطة وخارجها، التي تدعو إلى تحقيق العدالة المجتمعية وتغيير طبيعة نظام الحكم نحو دولة المواطنة، أن تمارس الضغط السياسي والجماعي لتحقيق ما تطمح إليه. ذلك يتطلب الدفع باتجاه تحقيق أمرين مهمين:

- المطالبة بإجراء استفتاء شعبي يتعلق بإصلاح أربعة أمور:  
- الدستور  
- قانون الأحزاب  
- قانون الانتخابات  
- المفوضية العليا للانتخابات

- من هنا يتوجب على أصحاب الفقه والرأي والفكر والإعلام والثقافة، السعي لتحقيق هذه الأهداف ومحاربة النفاق السياسي بكل الوسائل المتاحة لإنقاذ الشعب والوطن من الضياع وضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة!!



قاسم كزار

بعد أكثر من قرن، تبدو بعض الأسئلة العراقية حاضرة، وإن اختلفت الظروف والفاعلون:

كيف تدار الدولة؟ وكيف تصان سيادتها؟ وإلى أي مدى يستطيع العراقيون التأثير في مستقبل بلدهم بعيداً عن الضغوط الخارجية والتجاذبات الداخلية؟

في عام 1920، اندلعت انتفاضة شعبية واسعة ضد الإدارة البريطانية التي فرضت نفسها على العراق بعد الحرب العالمية الأولى. ولم تكن الحركة محصورة في فئة واحدة، فقد شارك فيها رجال دين وزعماء عشائر وناشطون وطنيين من المدن والريف، كان أهم مطالبها الاستقلال (نريد وطناً وفق شعار شباب تشرين لاحقاً)

وقد أسهمت الثورة في ترسيخ فكرة حق العراقيين في المشاركة في تقرير مستقبل بلادهم.

وبعد نحو قرن، خرج جيل آخر إلى الشوارع في تشرين الأول 2019. وجاءت الاحتجاجات في ظل أزمات متراكمة، من بينها البطالة وضعف الخدمات والفساد، وتراجع الثقة بالمؤسسات، فضلاً عن الاعتراض على نظام المحاصصة والتدخلات الخارجية. ولم تكن مطالب المحتجين واحدة تماماً، لكنها التقت حول الدعوة إلى دولة أكثر كفاءة واستقلالاً بعيداً عن التدخلات الخارجية والمصالح الفئوية.

فهل كانت تشرين امتداداً روحياً لثورة العشرين؟

إن المقارنة بينهما تحتاج إلى قدر من الحذر؛ فثورة العشرين واجهت إدارة استعمارية مباشرة، بينما جاءت احتجاجات تشرين في مواجهة مشكلات داخلية وبنية سياسية تشكلت بعد عام 2003، إلى جانب تأثيرات إقليمية ودولية متشابكة.

كما اختلفت مواقف القوى السياسية من تشرين. فقد أبدت بعض الجهات تعاطفاً أو دعماً جزئياً لمطالب المحتجين، في حين

## خفض قيمة الدينار العراقي: المواطن يدفع الثمن، فمن يحاسب أصحاب القرار؟



بمعزل عن حياة الناس؛ إنها المورد الذي تعتمد عليه ملايين الأسر في دفع الإيجار وشراء الغذاء والدواء وتوفير احتياجات الأطفال والتعليم والنقل.

وعندما يتأخر الراتب، تتعطل التزامات الأسرة، وقد تضطر إلى الاقتراض أو الاستدانة لتغطية نفقاتها الأساسية. أما خفض الراتب أو تآكل قيمته الشرائية بفعل ارتفاع الأسعار، فيعني تقليص مستوى المعيشة وربما التخلي عن حاجات ضرورية. ومن هنا، فإن انتظام دفع الرواتب وحماية قيمتها الفعلية يمثلان مسؤولية أساسية للدولة، لا مئة تقدمها الحكومة لموظفيها.

ولا بد هنا من التمييز بين التلويح بتأخير الرواتب وبين إثبات حصول تأخير فعلي يتجاوز 45 يوماً على نطاق عام؛ فذلك يتطلب بيانات دقيقة عن مواعيد الصرف والجهات التي تأخرت مستحقاتها. غير أن هذا التمييز لا يقلل من خطورة أن يصبح تأخير الرواتب خياراً مطروحاً لمعالجة الأزمة، في وقت تتزايد فيه مخاوف المواطنين من ارتفاع تكاليف المعيشة.

ثمة جانب آخر يثير تساؤلات لا تقل أهمية عن النداءات الاقتصادية، ويتعلق بتكافؤ الفرص والشفافية في اتخاذ القرارات المالية الكبرى. فقد تداولت أوساط سياسية وإعلامية معلومات تفيد بأن شخصيات نافذة في الطبقة الحاكمة، أو مقربين منها، ربما علموا مسبقاً بقرار تغيير سعر الصرف، وسحبوا مبالغ كبيرة بالدولار قبل الإعلان عنه، بما أتاح لهم، وفق هذه الروايات، تجنب بعض الخسائر أو الاستفادة من تغير السعر.

وهنا يبرز سؤال مشروع: كيف يمكن مطالبة المواطن بتحمل نتائج قرار مفاجئ، بينما تتردد أنباء عن احتمال أن يكون بعض أصحاب النفوذ قد تمكنوا من حماية أموالهم أو تحقيق مكاسب بفضل معلومات لم تكن متاحة للجمهور؟

ينقاضي راتبه بالدينار لا يحصل بالضرورة على أي زيادة مقابلة في دخله. بل قد يجد نفسه مضطراً إلى دفع مبالغ أكبر لشراء السلع نفسها، فيما تبقى التزاماته الشهرية على حالها، أو تزداد بسبب ارتفاع تكاليف الخدمات والنقل والإيجارات.

وهنا تظهر المفارقة الاجتماعية للقرار: تستطيع الخزينة الحصول على موارد إضافية بالعملة المحلية، لكن هذه الزيادة لا تعني بالضرورة تحسناً في الوضع الاقتصادي العام، ولا تمثل تعويضاً عن خسارة الإيرادات النفطية بالدولار. إنها، في جانب مهم منها، إعادة توزيع للأعباء داخل الاقتصاد، يتحمل المستهلكون وأصحاب الدخل الثابتة قسماً منها.

ولذلك لا يجوز التعامل مع انخفاض القدرة الشرائية بوصفه نتيجة جانبية يمكن تجاهلها، خصوصاً في مجتمع يعاني أصلاً من البطالة وضعف الخدمات العامة وتفاوت الدخل. فالموظف الذي يعيل أسرة، والمتقاعد الذي يعتمد على راتبه، والعامل الذي لا يملك مورداً ثابتاً، جميعهم يواجهون خيارات صعبة عندما ترتفع الأسعار ولا تتغير دخولهم.

### الرواتب ليست أرقاماً في دفاتر الدولة

تزداد خطورة الوضع عندما تربط الحكومة قرارها بتأمين الرواتب، وتعلن أن البدائل التي واجهتها تضمنت خفض الرواتب بنسبة 35 في المئة، أو دفعها كل 45 يوماً بدلاً من موعدها الشهري، أو اللجوء إلى مزيد من الاقتراض. إن مجرد وضع الموظفين أمام احتمال خفض رواتبهم أو تأخيرها يعكس عمق الضغوط المالية التي تواجهها الدولة. لكن الرواتب ليست أرقاماً يمكن تحريكها في الحسابات الحكومية

لم تعد الأزمة الاقتصادية في العراق مجرد أرقام تتعلق بعجز الموازنة أو تراجع الإيرادات النفطية، بل أصبحت قضية اجتماعية وسياسية تمس حياة ملايين العراقيين، وتهدد قدرتهم على تأمين متطلبات المعيشة في بلد يمتلك ثروات طبيعية كبيرة، لكنه ما زال عاجزاً عن بناء اقتصاد متنوع ومستقر، يضمن لمواطنيه الحد الأدنى من الأمان المعيشي والعدالة الاجتماعية.

وفي هذا السياق، جاء قرار حكومة رئيس الوزراء علي الزبيدي رفع سعر الدولار مقابل الدينار العراقي، ليضيف عبئاً جديداً إلى أعباء المواطنين، ويثير موجة من الاعتراضات السياسية والشعبية. فقد ارتفع السعر الرسمي للدولار المخصص للبيع للجمهور من 1320 إلى 1520 ديناراً، ابتداءً من السابع من أكتوبر/تشرين الأول الجاري وقد يصل إلى 1800 دينار، في خطوة قالت الحكومة إنها ضرورية لمواجهة تراجع الإيرادات النفطية وتوفير الأموال اللازمة لتغطية النفقات العامة، وفي مقدمتها الرواتب. وقد تناولت وكالات الأنباء هذه الخطوة بوصفها خفضاً لقيمة الدينار بنحو 15 في المئة، وسط تحذيرات من ارتفاع تكاليف الاستيراد وتراجع القدرة الشرائية للأسر العراقية.

ولا يمكن فصل هذا القرار عن الظروف الاقتصادية والمالية الصعبة التي تواجهها الدولة، في ظل اضطراب صادرات النفط وتراجع الإيرادات التي يعتمد عليها الجزء الأكبر من الإنفاق الحكومي. لكن الاعتراف بهذه الظروف لا يعني التسليم بأن المواطنين يجب أن يتحملوا وحدهم نتائج الاختلالات المالية، أو أن يكون خفض قيمة العملة الوطنية هو الحل الأسهل لتوفير السيولة، من دون ضمانات واضحة تحمي أصحاب الدخل المحدود من التداعيات الاجتماعية.

### حين تتحول الأزمة المالية إلى أزمة معيشية

إن خفض قيمة الدينار لا يبقى محصوراً في الحسابات الحكومية أو في تعاملات المصارف، بل يمتد تأثيره إلى السوق المحلية، حيث يعتمد العراق على الاستيراد لتلبية جانب كبير من احتياجاته الغذائية والدوائية والصناعية. وعندما ترتفع كلفة الحصول على الدولار، تصبح السلع المستوردة أكثر كلفة بالدينار، الأمر الذي قد ينعكس على أسعار الغذاء والدواء والملابس والأجهزة المنزلية ومواد البناء وغيرها من مستلزمات الحياة اليومية.

وإذا كانت الحكومة تحصل، نتيجة تغيير سعر الصرف، على عدد أكبر من الدنانير مقابل كل دولار من إيراداتها النفطية، فإن المواطن الذي

## جداريات من ذاك المكان



## أضواء ..

## "المأساة العراقية دون حلول جدية"

« ناس تاكل دجاج  
و ناس تتلكى العجاج »

والحروب ولجان التفتيش والمظاهرات، تصل ساعات عمله أكثر من 12 ساعة بالحر والبرد والعواصف والأمطار دون سقف يحميه، ولا كرسيا ليرتاح، وأولئك الذين خاطروا بحياتهم % ١٠٠ لمحاربتهم تنظيم القاعدة وداعش يتقاضون بالشهر 500 ألف دينار أو أقل من ذلك. فمن اللي كتب في الدستور العراقيين متساوون بالحقوق؟

ويشتري التجهيزات العسكرية من جيبه الخاص بالسنة ٤ بدلات البدة الواحدة ب٥٠ ألفا، والقمصنة ب٥٠ ألفا، والبيريه ب٢٥ ألفا، والدرع ب١٥٠ ألفا، والخوذة ب٥٠ ألفا، والبسطة ب٥٠ ألفا، والعلامات ب٥٠ ألفا، والطعام ب١٧٠ ألفا، وأجور النقل ب١٥٠ ألفا، والنطاق ب٥ آلاف، والكلبجة ب٢٥ ألفا، والتورط ب١٥ ألفا ..

لولا تضحيات القوات الأمنية لا يستطيع رئيس الوزراء، ولا الوزير، ولا عضو برلمان، ولا قاض، ولا محافظ، ولا دكتور، ولا معلم الوصول إلى دوايمه وعمله دون تواجد القوات الأمنية في الشارع ٢٤ ساعة، والمنتسب مو رجل آلي دم ولحم يقف وسط الشارع ٢٤ ساعة بالحر والبرد والعواصف والأمطار دون سقيفة تحميه من الشمس والمطر، وشايل البنديقية والدرع والخوذة والبسطة، يعني أكثر من ٥٠ كيلو، وراتبه التقاعدي مخجل ٥٠٩ آلاف دينار.

فأين أعضاء لجنة الأمن والدفاع واعضاء البرلمان عن التقشف والجنبية المالية نطالب.

رئيس الوزراء والسيد فائق زيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى، ورئيس هيئة النزاهة ورئيس هيئة التقاعد الوطنية سحب وبيع جميع التاهوات والجكسارات من الوزراء وأعضاء البرلمان والمستشارين والوكلاء وسحب جميع الحميات من المسؤولين؛ لأن القوات الأمنية وسط الشارع ٢٤ ساعة بالحر والبرد والعواصف والأمطار دون سقيفة، والكرسي. وتخفيض رواتب الرئاسات الثلاث، والمديرين العاميين والوكلاء والمستشارين. ورفع رواتب أولئك الذين يضحوا بدمهم وصحتهم من أبناء القوات الأمنية أصحاب الدخل المحدود الذين لا يتجاوز راتبهم ٥٠٩ آلاف دينار.

ان أمل هذه الشريحة من المجتمع العراقي حالهم حال ملايين العراقيين تحسن الحال واكتمال النعمة، وأن تصل الأوضاع إلى غاية التمام والراحة والازدهار..

بعض النواب أو من في الحكومة يطبلون بأن رواتب الموظفين بالعراق كثيرة شاهد الرئاسات الثلاث مع 9 آلاف من موظفيها رواتبهم 8 ترليونات بينما 5 ملايين موظف في العراق رواتبهم 2 ترليون عمي موارد العراق وأموال العراق ناهبتها الحكومة وكل ضميمها شامرتها على المواطن من غير 170 عين فقط لم يدخل منها ميزانية الدولة دينار واحد فقط للأحزاب والعصابات ورجال الدولة والمصابين على المواطن ما عندهم حلول فقط ضد الشعب " لو كل 45 يوما تصرف الرواتب لو أصعد الدولار لو اقترض" للعلم هذه القرارات الثلاث ما يؤذن السياسي؛ لأن كل النواب ورجلات الدولة تعلم بقرار رفع صرف الدولار وجميعهم - بدون استثناء - اشتروا الدولار، وضموه بينما الضيق والضيم يتحملة الشعب بسبب المطالبة بسلم الرواتب فيا شعبنا، احنه جيناء ليس من الآن من أيام صدام. بهذه القرارات أنت حاليا تستلم نصف الراتب بسبب صعود الدولار خوش نومه ياشعب التتومة.

نامي جياح الشعب نامي .. حرسك آله الطعام

العراقي المسكين بيا حال..  
والمستلطين كاضيها "كمرة وربيع"

العراقيون عليهم أن يعرفوا زين لماذا الفلوس بالعراق ما تكفي للمشاريع والخدمات، ولماذا رؤساء ما يكذبون يسيطرون على الوضع المالي، وكل ما يصير أي موضوع يروحون يمدون أيدهم على خيزه وقوت الشعب وطبقة الموظفين الفقراء، لازم تتفهمون زين أن غلاء الدولار معناه استرجاع الفلوس من سرقوها... فتصورا: رئيس جمهورية أو رئيس حكومة أو نواب سابقين، وعلى شاكلتهم وزراء ونواب ورؤساء مجالس المحافظات، مستشارين ومديرين ووكلاء ومسؤولين حكوميين كبار، وزوجاتهم يستلمون رواتب تقاعدية بمئات المليارات شهريا ما يكفي تسديد رواتب خمسة ملايين موظف... بينما المنتسب الحكومي البسيط اللي يداوم باليوم الواحد ٢٤ ساعة، وبالشهر ٣٦٠ ساعة من غير الإندازات بالأعياد والانتخابات والزيارات والمؤتمرات

## « العراق ؟... في حَضْرَة آراءِ المُواطنين »

والحوار. مع كامل التقدير للصحافة الورقية ودورها، تبقى قيمة الكاتب فيما يضيفه إلى الثقافة، لا في عدد الأسطر التي يحتلها. فالماضي يستحق الاحترام، لكنه لا يمنح أحداً حصانة من امتحان الحاضر. تحية لك على هذا المقال الذي يفتح باباً ضرورياً للنقاش.

## \* الشاعر السرياني ابراهيم حنيش

طرح رائع فعلاً استاذ المشهد الثقافي بحاجة إلى التغير والتجديد باستمرار لمواكبة العصر وإلى الامام نحو الابداع والتألق.

## \* قاسم جبار علوان

أستاذي العزيز أتفق معك في أن الخطر لا يكمن في كثرة الأقلام بل في غياب المعيار النقدي الذي يميز بين حرية الكتابة وقيمة الإبداع فليس كل من كتب شاعراً كما أن كثرة التصفيق لا تصنع موهبة ولا قلة التصفيق تنفيها الشعر لا يحتاج إلى رقيب على الأقلام بقدر ما يحتاج إلى نقد يحرس الذائقة من المجاملة ويحمي الموهبة من الضجيج فالأدب لا ينصفه المنع ولا ترفعه الإعجابات بل تنصفه اللغة والتجربة والعمق ويبقى الزمن أصدق النقاد حين تسقط الأسماء ويبقى النص تحياتي لشخصك الكريم.

## \* ياس الركابي

## رد على كاتب المنشور

قاسم جبار علوان/ وسوف لاتسقط هذه الاسماء مادامت تعبت دونما إشارة من احدهم تنبيهاً لها.. فهل تصدقني اخي الفاضل بان واحداً من المعنيين في منشوري تجاوز حتى الإستهزاء للنيل من الادب وبدا بتسويق ترهاته بين يوم وآخر دونما وازع من استحياء... وما يدمي القلب هو ان بعضهم يشيدون به وهم يعرفون جيداً بان ماقروؤه ماهو الا ترهات.

## \* محمد صبي الخالدي

استاذ ياس انا معك بحضور الرقيب ولكن لماذا نذهب للنقد ونهدم احيانا براعم نعم النقد يقوم ولكن بنفس الوقت يحبط احيانا وعليه انا اقول الرقيب يختار النصوص الجيدة ونشرها ويثني عليها بهذا قد كسبنا اثنين هو الاول عدم الابطال والثاني الثناء وكلاهما سوف يسكبنا ببودقة الأدب والتميز

فاتق احترامامي

مواجهة الحاضر فاختارت أن تجعل من المنبر القديم ملاذاً آمناً من امتحان التفاعل الجديد.

فيا بعض سادة الثقافة.. ليست العبرة في أين تنشرون... بل في ماذا تملكون لتقولوه وهل ما تكتبونه قادر على الحياة خارج الصفحة التي احتضنته..

أصحو

فلقد تغير العالم وتغيرت طرائق القراءة والتلقي..... ولم يعد عدد الأسطر التي تشغلونها في صحيفة الصباح العراقية والصباح الجديد وطريق الشعب دليلاً على وزنكم الثقافي... كما لم يعد اسم الصحيفة شهادة صلاحية أبدية لكل ما يُكتب فيها فإن ظننتم أن القعود في البيوت وانتظار موضوع ثقافي \*مستهلك كي يُنشر لقاء أجر هو استمرار للمجد.

أقول لكم:

إن المجد لا يُستخرج من أرشيف الصحف... وإن الثقافة ليست راتباً مقتعاً بثوب المقال وإن الكاتب الذي لا يملك ما يضيفه إلى زمنه سوف لن تنفذه آلاف الصفحات من حقيقة واحدة إسمعوها مني:

((((من لم يستطع أن يواكب عصره))))  
فليحاسب أدواته.. قيل أن يحاكم هذا العصر... ومن لم يعد قادراً على إنتاج الجديد.... فليس من حقه أن يتخذ من ماضيه سلطة على مبدعي الحاضر فالزمن لا ينتظر أحداً والإبداع لا يتقاعد إلا حين يقرر صاحبه أن يتقاعد أما الأسماء التي تعيش على صدى ما كان فستكتشف متأخرة.

أن العالم لم يعد يصغي إلى الصدى حين يكون الصوت الجديد.... قد ملأ الفضاء.

ملاحظة:

نسخة منه الى / فلان وفلان وفلان

والسلام على صحف ايام زمان

## تعليقات القراء

## \* شوقي كريم حسن

أبارك للكاتب هذا الطرح الجريء، وأحييه على ما حمله من وضوح ووعي بتحولات المشهد الثقافي. لقد وضعت يدك على جوهر القضية؛ فالإبداع ليس امتيازاً تمنحه الأسماء، ولا مجداً محفوظاً في أرشيف الصحف، بل قدرة متجددة على ملامسة الزمن وإنتاج ما يستحق القراءة



## ياس الركابي F-

14 أكتوبر 2026

الى بعض الادباء الفطاحل الذين عجزوا عن ملامسة الالفية الثالثة

اقوووووووووووووووووووووووووووووو

\* ليست المشكلة..... أن يكتب المرء في صحيفة ورقية... فالكلمة الجادة لا تفقد قيمتها باختلاف منبرها... بل المشكلة أن يعجز الاديب عن التواصل مع تحولات العصر فيلوذ بما ألفه ثم يتوهم أن ما اعتاده العالم بالأمس ما زال قادراً على صناعة حضور اليوم.

نعم.. ومن خلال مطالعتي اليومية لصفح العراق التعبانة

\* ثمة من عجزوا عن استيعاب أن الإبداع لم يعد رهين صفحة جريدة تنقل أعداد نسخها وتنحسر دوائر قرائها وأن العالم قد انتقل إلى فضاءات تفاعلية لا تمنح الكاتب حصانة اسمه ولا وجهة ماضيه بل تضع ما يكتب أمام قارئ يستطيع أن يحاوره.... ويناقشه ويكشف خواءه في اللحظة نفسها.

نعم

فحين نضرب المعين الإبداعي لبعضهم صاروا يستعيزون عن المغامرة بكتابة موضوعات ثقافية مستهلكة تُجمع من شتات الكولاجات والقصاصات وتُطبخ على نار يومين أو ثلاثة لا لتضيف إلى المشهد معرفة جديدة بل لتؤدي وظيفة النشر المأجور ثم يُقدّم ذلك كله على أنه حضور ثقافي يستحق الاعتراف.

إنني لا أهاجم الصحافة الورقية ولا أنكر قيمة ما تنشره من إبداع أصيل... وإنما أهاجم عقلية.... استراحت إلى الماضي وعجزت عن

## شؤون سياسية...

## فخ التمويل و خطورة التعويل!



د. سناء شامي \*

قرأت في جريدة إلكترونية، الرصيف، بأنه عقب الإعلان عن قائمة الفائزين بجائزة نوبل، علق الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما قائلاً: نحن الأمة التي فاز منها ستة من علمائنا وباحثينا بجائزة نوبل وكان كلٌ منهم من المهاجرين. "كان أوباما يشير إلى أن بلده قد نجح منذ وقت طويل في الاستثمار في المواهب القادمة من البيئات الطاردة للكفاءات، ومنها المنطقة العربية. و سؤالي هنا، لماذا الأنظمة العربية تدفع كفاءاتها للهروب؟ هل حقاً لعدم توفر الموارد المادية؟ أم هي إستراتيجية تواطى صامتة تخدم مصالح الدول الغربية التي تفرض على أغلب الأنظمة العربية الخطوط العريضة في جميع مجالات حياة المجتمعات العربية من أجل منعها من الإنتاج و التطور؟ ألم تخضع اليوم الكثير من الدول العربية إلى تعديل مناهجها التعليمية بما يناسب سياسات هيمنتها على المنطقة العربية و سؤالي هنا، لماذا الأنظمة العربية تدفع كفاءاتها للهروب؟ هل حقاً لعدم توفر الموارد المادية؟ أم هي إستراتيجية تواطى صامتة تخدم مصالح الدول الغربية التي تفرض على أغلب الأنظمة العربية الخطوط العريضة في جميع مجالات حياة المجتمعات العربية من أجل منعها من الإنتاج و التطور؟

ألم تخضع اليوم الكثير من الدول العربية إلى تعديل مناهجها التعليمية بما يناسب سياسات هيمنتها على المنطقة العربية و الإسلامية؟ لا تخصص الدول العربية أكثر من 0.8% من دخلها القومي للبحث العلمي سنوياً حداً أقصى. في المقابل تتفق إسرائيل 3.93% من إجمالي ناتجها المحلي لتمويل الأبحاث العلمية. أما في الصين واليابان والولايات المتحدة فالأمر تحول إلى إحدى ركائز قوة هذه البلدان عالمياً، حتى أن مدينة واشنطن وحدها تضم 397 مركزاً بحثياً، أي أكثر من عدد المراكز القائمة في الدول العربية مجتمعة. الأمر الذي يُبقي نزيف هجرة المواهب والكفاءات العلمية العربية مفتوحاً حتى إشعار آخر. ينعكس نقص الموارد المالية سلباً على

و لا تقوم هي بإنشاء مراكز خاصة بها؟ لماذا المثقفون العرب يبيعون فكرهم و يعرضون مجتمعاتهم لخط الإستغلال و القمع الفكري، مقابل حفنة من المال، و هل التمويل حجة مقنعة للقيام بدراسات، يعرف المثقف، مسبقاً بأنها ستعود فقط لصالح المستثمر الغربي؟ في الآونة الأخيرة كثرت الأبحاث حول الدين الإسلامي و تأثيره الحالي على المجتمعات العربية، و للأسف، مثقفون و أكاديميون كثر، يقدمون معلومات قيمة و دقيقة متعلقة بهذا الشأن، رغم معرفتهم التامة بالحرب الغربية المفتوحة على الإسلام، و على الدين و العقيدة بشكل عام في العالم؟ خمسة مراكز دراسات عربية فقط ضمن أفضل عشرة مراكز شرق أوسطية، من بين أفضل 75 مركزاً بحثياً في المنطقة، والبقية تنقسمها إسرائيل و تركيا، التي تجاوزت فيها موازنة البحث العلمي المرصودة من الدولة 20 مليار دولار في عام 2015 لأول مرة في تاريخها. بل إن من ضمن الخمسة مراكز العربية اثنين هما فرعان لمؤسسات بحثية أمريكية، مركز كارنيجي للشرق الأوسط ببيروت ومركز بروكجز الدوحة.

قد تكون رواتب الأكاديميين و العاملين في مجال الثقافة، رواتب ضعيفة لا تكفي لمواجهة أعباء الحياة المادية، و لا تضمن التقدم في البحوث و الدراسات، لكن بالمقابل، التمويل الأجنبي ملغوم الأهداف، لا يمكن أن يكون قبوله هو الحل، بل هو معول هدام يحفر بهدوء تحت أقدام مثقفين و أكاديميين و غيرهم من الفاعلين في المجتمع، و يوسع و يُعمق الحفرة من تحت الجميع، إذاً ماذا ينفع هذا النوع من التمويل؟ الأكاديمي أو المثقف الذي يجني أرباحاً مادية من خلال بحث ما، و هذا حق مشروع، لكن أين سيوظف مراحه هذه، ما دام في أغلب البلاد العربية لا يُسمح بتوظيفها في تطوير المشاريع البناءة؟ هل سيوظفها لفائدته الشخصية؟ و هذا أيضاً حقه المشروع... و لكن القبول بهذا الواقع الفقير رغم تدفق التمويل، ألا يجعل فكر المثقف في البلدان العربية، كاية سلعة تُسرى و تُباع؟ و يكون الغرب بذلك قد حقق أخطر أهدافه الإستعمارية، ألا وهي إحتلال الفكر العربي. إن إحتلال الأرض و مواردها يسبب فقر الأمة، أما سرقة فكرها، من خلال حفنة دولارات، يهدف حتماً إلى إلغائها وجودها. اليوم، وعي و ضمير المثقف العربي يلعبان دوراً هاماً في تحديد المسار الوجودي لأمة تعيش مخاض معقد، و مسؤولية الجميع، العمل على ولادتها من جديد أو إستمرار مخاضها المؤلم حتى الموت

مناخ البحث العلمي. يحتاج الباحثون إلى إمكانات مالية للتفرغ لأبحاثهم وإلى مؤسسات بحثية متطورة تقنياً و علمياً وإلى ورشات تدريب ورحلات بحثية وتعاون دولي، وكل ذلك يحتاج مالاً وفيراً، تملك منه الدول العربية الكثير لكنها لا تتفق منه في البحث العلمي إلا قليلاً، أين الحلقة المفقودة في كل هذا؟ تُقيم جامعة بنسلفانيا مراكز الأبحاث والدراسات في العالم ضمن برنامج يسمى: "مراكز التفكير والمجتمع المدني" وفقاً لـ 28 مؤشراً، ويتم التقييم بناءً على المنطقة الجغرافية والبرامج العلمية و القدرات التواصلية ومدى التأثير في السياسات العامة محلياً وإقليمياً، و هذا يُفسر غرابة خريطة توزيع المراكز البحثية في العالم العربي: أن دول الخليج، التي تملك إمكانات مالية هائلة واقتصادات قوية، لا تملك الكثير من مراكز التفكير والبحث، حتى أن عدد مراكز الدراسات المصنفة دولياً في الصومال يفوق عددها ما يوجد في السعودية. الأمر نفسه يتكرر في منطقة المغرب العربي، التي تضم 46 مركزاً بحثياً، بينها 18 في تونس على الرغم من أنها لا تملك إمكانات مالية كبيرة قياساً على الجزائر وليبيا، الدولتين النفطيتين اللتين تضماني 11 مركزاً فقط! و السؤال، هل الغرب يُوزع المراكز البحثية على الدول العربية حسب حجم تحكمه بأنظمتها؟

هل لهذا السبب، تقلّ المراكز البحثية في دول الخليج و السعودية، لأن أمريكا أحكمت بشكل شبه كامل على أنظمة هذه الدول؟ هل مصر كدولة عربية ذات ثقل سياسي في المنطقة، تحتل مراتب أولى في التصنيف الإقليمي والدولي، وإيران أيضاً بحكم تطلعها إلى لعب دور إقليمي سياسي واقتصادي في الإقليم وخاصة في سوريا واليمن ولبنان والخليج، لذلك تكثّر فيهم مراكز الأبحاث الأجنبية، كوسيلة ناعمة لإختراق و التحكم بهذه الدول من خلال فكر مجتمعاتها؟ ما دامت الدول العربية لا تستثمر في الفكر، إذاً إلى أين تذهب الدراسات و الأبحاث التي يقوم بها المثقفون العرب؟ حتماً للجهات الممولة لهذه المراكز، أي لأمريكا و الدول الغربية! هل يعلم المثقفون العرب، بأن أبحاثهم تستعمل كسلاح صامت ضد شعوبهم، و كأدوات فعالة في تطوير سياساتهم ضد المنطقة العربية، و حصر الإستفادة من هذه الدراسات فقط لصالحهم؟ لماذا الأنظمة العربية تسمح لهذه المراكز البحثية الغربية بالتواجد فوق أراضيها،

## مدرسة عبد الحسين شعبان...



محمد جواد فارس

المتقنين بوصفهم من يسرع ويوزع ويمارس الثقافة. أي العالم الرمزي الخاص بالإنسانية و الذي يتضمن العلم والفن والدين .  
سيمور مارتن ليبست

يعتبر صديقي الصدوق عبد الحسين شعبان أحد أهم المتقنين العرب الاشكاليين . فبالرغم من اعتزازه بمدرسة اليسار . الا أنه امن بوجود تقديم قراءات جديدة للماركسية و سلك طريق التجريب والجدل مبتعدا عن الايمانية التبشيرية على حد قوله . ليس هذا فحسب بل ساهم الى حدود غير قليلة في اطار التجديد والتنوير و الحداثة والعقلانية .

وبسبب من ضميره اليقظ والحر وتوقه الى العدالة والمساواة انشغل بقضايا الديمقراطية و حقوق الانسان والمجتمع المدني والأديان والقوانين الدستورية والدولية . بما فيها قضايا النزاعات والحروب والتسامح اللاعنف . وقد عمل جهده للجمع بين العمل الفكري و الممارسة العملية وبين العمل الأكاديمي و النضالي ، مثلما اعطى لنشاطه السياسي مسحة حقوقية ، كما زواج بين السياسة والثقافة ، فامتزجة مع بعضها البعض لدرجة لا يمكن فصلهما ، فهدفه الاسمي هو البحث عن الحقيقة و الخدمة العامة و اعلاء شأن الحقوق والتربية عليها .

وفي الحديث له عن تجربته بعنوان (محطات بين الثقافة والسياسة) في الكوفة غاليري في لندن شباط / فبراير 1994 و أصدره لاحق بكراس بعنوان (بعيدا عن أعين الرقيب) ردد مقالته الشاعر أكتافو بات من أنه ( اذا خلا رأس السياسي من الشعر فانه يتحول الى طاغية ) و هذا يقودني الى الحديث عن دور الشعر بشكل خاص والأدب بشكل عام في تكوين عالم شعبان الروحي ، حيث ظل الجواهري الكبير ( ابو فرات ) ملازما له طيلة حياته ، وانعقدت بينهما لاحقا صداقة مديدة قاربت الثلاثة عقود من الزمن نتج عنها كتباً ومقابلات وحكايات ، و اخرها الكتاب الموسوعي الذي صدر عن دار سعاد الصباح العام 2024 .

كما تحفظ على اعلان الامم المتحدة ( اعلان حقوق الأقليات ) العام 1992 في مراسلة له مع بطرس غالي أمين عام الأمم المتحدة ، على الرغم من تقديره الإيجابي له ، لاسيما اعترافه بحقوق ( المجموعات الثقافية ) لكنه اعتبر أن استخدام القرار مصطلح ( الأقليات ) إنما يستبطن الهيمنة والتسيد من جهة ، مثلما يفترض الخضوع والاستتباع من جهة أخرى ، الالم الذي يعني الانقراض من مبدأ المساواة ومن الاعتراف المتكافئ ، بغض النظر عن الاقلية والأكثرية ، وظل متمسكا بمبدأ حق تقرير المصير ببعده الحقوقي والإنساني .

و شعبان من الشخصيات العربية التي امنت بالتسامح و دعت اليه ، و كان من المبادرين لادانة ماتعرض له المسيحيون في العراق والبلدان العربية وما يواجهونه من تحديات ، و هم اهل البلاد الأصليون بهدف اجلائهم من ديارهم فهم متصالحوا مع الأديان و المعتقدات رغم التوجه المدني والعلماني ، لذلك نجد أن الكثير من اصدقائه ليس فقط من المثقفين و المفكرين بل من رجال الدين أيضا بالإضافة الى الناس العاديين ، و أن دل ذلك فهو يدل على تواضعه ومحبة الخالصة .

تمتد صداقتي مع المفكر الموسوعي عبد الحسين شعبان الى أكثر من خمسة عقود من الزمن ، حيث تعرفت عليه عندما كان أحد ابرز قادة اتحاد الطلبة العام في العراق 1967 وامتدت هذه العلاقة بحضور مؤتمرات ولقاءات لاتحاد الطلبة ، كما عملنا سويا في الحزب الشيوعي العراقي ، وعدت والتقيت به مرة أخرى في دمشق مع كبار المثقفين العراقيين والعرب ، كما عملنا سوية في جريدة ( المنبر ) الذي كان هو يرأس تحريرها ، وكان لنا اراءنا الخاصة بعدة مواضيع مختلفة ، منها الحرب العراقية - الإيرانية .

عبد الحسين شعبان يمثل مدرسة حقيقية ، حيث تتلمذ و يتلمذ الى الان على يده أجيال من الشباب ، وما تزال أفكاره تثير جدلا و نقاشا و حورا و اهتماما كبيرا ، ولذلك هو يجسد روح حية مطلعة الى المزيد من العلم و المعرفة و الثقافة و الجديد .

ومن خلال متابعتي لطروحاته المتمردة و ارائه الحداثية ووجهات نظره ، أنه فعلا أستحق و بحدارة لقب المثقف العضوي ، حسب تعريف غرامشي ، متمنيا له دوام الصحة والعمر المديد ، ليمدنا بالمزيد من أفكاره النيرة .

\*\*\*

كما كان له صداقة متينة مع الراحل مظفر النواب أنجبت كتابه ( رحلة الينفسج ) و الذي صدر عن دار النهار في بيروت في العام 2023 ، كما قرأ يعمق واعجاب لبدر شاكر السياب ، وعبد الوهاب البياتي ، ونازك الملائكة ، وبلند الحيدري ، ونزار القباني ، وسعدي يوسف و أدونيس ، ومحمود درويش ، ومصطفى جمال الدين ، ولميعة عباس عمارة وعاتكة الخزرجي وغيرهم . وتأثر في بداياته بالمنفلوطي و جبران خليل جبران وبالطبع غاندي الذي بقى تأثيره الى اليوم ، وقرأ روايات يوسف السباعي و احسان عبد القدوس و نجيب محفوظ وتولستوي و بلزاك وهمغواي و اخرين .

و على عقود من الزمن وقف شعبان موقفا داعما الى أقصى الحدود مع القضية الفلسطينية ، حيث شارك في مؤتمرات دولية عديدة ، وساهم في لجان تحضيرية لدعم القضية الفلسطينية ، كما حرر نصوصا و قرارات دولية و عربية لدعم حق تحرير المصير للشعب العربي الفلسطيني ، وكتب مقالات في مجلات و صحف فلسطينية و عربية و أجنبية عن القضية الفلسطينية و الصراع العربي ( الاسرائيلي ) والصهيونية المعاصرة .

وهو من الحقوقيين القلائل الذين و بوقت مبكر ، اقترح الى تنظيم ( محكمة شعبية ) أي محكمة ضمير لمحكمة مجرمي الحرب الصهاينة ، وقد الف في ذلك كتابا بعنوان ( سيناريو أولي لمحكمة القدس الدولية العليا ) العام 1987 . وتأسست بمبادرة منه و زميله الدكتور جورج جبور اللجنة العربية لدعم قرار الامم المتحدة 3379 ، و التي تم استبدال اسمها الى ( اللجنة العربية لمناهضة الصهيونية و العنصرية ) و كان هو امينها العام وزميله جورج شغل رئاستها 1986 .

وعلى الرغم من عروبة عبد الحسين شعبان الطافحة ، كان ولايزال من المنشغلين بقضايا المجموعات الثقافية ( الاقليات ) : وهي عبارة يتحفظ على استخدامها ، خصوصا الأكراد ، فخلال عمله أقدم على عدد من المبادرات المهمة منها انه نظم أول حوار عربي - كردي في لندن العام 1992 بحضور 50 شخصية عربية و كردية ، وكان اول من دعا لتنظيم حوار بين مثقفي الأمم الأربعة ( العرب و الترك و الفرس و الكرد ) كما اضافة الأمازيغيين من المغرب العربي و الأرمن ايضا على حد تعبيره ، وتحقق ذلك لأول مرة في تونس تلبية لمبادرته من جانب المعهد العربي للديمقراطية 2016 ، ودعا ايضا الى ويستقاليا عريبتها اخرى مشرقية .

## فخ الراتب وضياع عمر الموظف



شبكات الاستغلال؛ فيغرق تدريجياً في دوامة لا تنتهي من القروض الربوية، والبطاقات الائتمانية، والشراء بالأجل، ليتغير مسار حياته بالكامل وتتحول صفته من موظف يكافح لبناء مستقبله وتأمين أسرته إلى أسير مكبل يعمل ليلاً ونهاراً، فقط لسداد أصل وفائدة ديون أحكمت حلقاتها حول عنقه كالحبل المشدّد.

إن هذا الواقع المرير يكشف عن حقيقة صلبة مفادها أن الأجر غير الكافي ليس مجرد خلل عابر في معادلة اقتصادية أو رقم مجرد في جدول، بل هو عملية هدم بطيء ومستمر لشغف الإنسان وإنسانيته، وتحويل قسري لكرامته إلى هباء يُذرى مع رياح الحاجة والعوز؛ فالموظف الذي يُحرم من الأمان المالي في قرشه وطعام يومه، يستحيل أن يجد الأمان في يومه أو غده، وسيظل يقاتل على الخوف، ليعيش في النهاية غربياً ومغترباً حتى داخل بيته ووطنه.

### • أخيراً:

وهكذا لا يغدو حلم "أبي أحمد" وأمثاله من الموظفين المكافحين مطالبةً بترفٍ أو ثراءٍ عريض، بل هو مجرد ظمأٍ مشروع لأبسط مقومات الأدمية؛ أن يعود أحدهم إلى بيته في نهاية الشهر يحمل لأطفاله الطمانينة قبل اللعبة، وألا يضطر للمفاضلة المؤلمة بين دواء والدته وإيجار سقفٍ يستر عائلته.

إن العدالة الأجرية ليست مجرد رقم يُعدّل في الميزانيات، بل هي صمام الأمان الذي يحمي الشرف من الانكسار، ويحفظ الأسر من الشتات، ويعيد للموظف شغفه وكرامته المهدورة؛ فصلاًحاً أوطاننا لا يبدأ إلا من استقامة أمن الإنسان في قوته، وحين يُصان الموظف الشريف في رزقه، تُصان الأمة بأسرها من زلزال الانهيار الصامت.

ومع تواصل إغلاق الأبواب المشروعة دون كفاية العيش، تبدأ ظلال التفكير المظلم بالمداهمة، وتتحول الاستقامة الشديدة إلى هشاشة سريعة الانكسار. تحت وطأة الحاجة والديون المتراكمة، فتتسرب الجريمة المستترة والانحراف الأخلاقي إلى ثنايا العمل؛ حيث تنشأ الرشوة، وتتمرير المعاملات غير القانونية، والاختلاس تحت لافتات مضللة ومستعارة كـ "تحسين الوضع"، وتتطور في بعض الأحيان إلى السقوط في فخ التزوير والنصب لمجرد ملاحقة متطلبات الحياة الأساسية وإطفاء نيران الالتزامات الضاغطة.

ولا يتوقف هذا التداعي عند حدود المهن أو الجدران الأربعة للمنزل، بل يمتد لينهك صلاته بالبشر، فيجد الموظف نفسه مدفوعاً بقسوة نحو الانسحاب الاجتماعي والانعزال الشامل؛ فينسحب من أوساط الأقارب والأصدقاء، ويتملص من المشاركة في المناسبات والأعياد، ليس جفاءً في طبعه ولا زهداً في أهله وناسه، بل لعجزه المادي المجرد عن تغطية أبسط التكاليف من تنقلات أو هدايا أو القيام بواجبات الضيافة المألوفة، ليراكم كل هذا العجز شعوراً طاحناً بالدونية والجفاء، ويحيله إلى غريب يقاتل على عزلتهم وصمتهم.

### • فخ الراتب الناقص

يتجسد الفقر والضييق المالي كعدوٍ خفي يتسلل إلى أدق تفاصيل الحياة اليومية للموظف، محولاً ملاذه الأمان إلى ساحة معركة ممتدة؛ فداخل جدران البيت، تنفشي ظاهرة "الاحتراق النفسي الصامت" لتعصف بالدفء الأسري وتستبدله بالتوتر والشجار المتواصل، حيث تعيش العائلة في حالة طوارئ دائمة تعلو فيها صرخات الخوف والقلق من المجهول، بينما يقف الأب مكبلاً بشعور طاحن بالعجز والعدمية، يدفعه إما للهروب الجسدي والنفسي من أسرته، أو للغرق في ظلمات الكآبة القاتلة، وصولاً إلى اشتعال صراعات كبيرة تعصف بالرباط المقدس، وتقضي إلى الطلاق وشتات الأطفال بين أطلال بيت مكسور.

ولمواجهة هذا النزيف اليومي ومحاولة إبقاء الأسرة على قيد الحياة، يجد الموظف نفسه مساقاً نحو الهاوية عبر اللجوء للديون وتقني



أسعد عبدالله عبد علي

في حجرته الضيقة التي تشبه صندوقاً خشبياً قديماً، يجلس "أبو أحمد" مع بزوغ فجر كل شهر جديد، لا ليحتفل بجهده وثمرته تعبته، بل ليوافق حسابه الأليم. يحمل بين يديه القلم وورقة ممزقة، يطالع رقم الرمز الرقمي الذي وصله عبر رسالة نصية تعلن إيداع الراتب. ينظر إلى الرقم، ثم ينظر إلى قائمة الالتزامات: إيجار البيت، فاتورة الكهرباء، أقساط المدارس، دواء والدته العجوز، وقائمة الطحين والزيت من دكان الحي. وفي أقل من ثلاثين يوماً، من ألم الظهر، وحرقة الصيف، وزمهرير الشتاء، ليرجع من رحلته صفراً الكفين إلا من خيبة الأمل.

هذه ليست قصة رجل واحد، بل هي حكاية آلاف الموظفين الذين يعيشون تحت وطأة "عسر الحال الأنيق"؛ حالة من سحق الكرامة الهادئ، حيث يمارس الإنسان عملاً شريفاً، ويعرق في كل صباح، لكنه في نهاية الشهر يعجز عن تأمين الأدنى من متطلبات الحياة الأساسية. إن هذا الفقر الوظيفي والرواتب المتأكل، لا تقف عند حدود الضيق المالي فحسب، بل تُحدث أشكالا من التمزق والكسور العميقة في جدار المجتمع النظيف.

### • حين يكسر الفقر ظهر الموظف

تتحول ضائقة العيش التي تكبل الموظف الشريف إلى زلزال يتداعى بنيانه تدريجياً داخل أروقة حياته الخاصة؛ فتبدأ حكايته من بيته الصغير، حين ينظر الموظف في عيون أطفاله ليلمح انكسار القدوة في وجوههم، إذ يرى الطفل أن سهر والده وتكفله بجهد شاق على مدار الشهر لا يثمر حتى عن شراء لعبة بسيطة أو سداد رسوم رحلة مدرسية، مما يزرع في نفوس هذا الجيل الشاب قناعة مشوهة بأن الشرف والاستقامة ليسا إلا طريقاً محتوماً للفقر والحرمان، ليحل التوتر الدائم والمكتوم داخل الأسرة بدلاً عن الدفء، مع اشتداد الضغط النفسي المتواصل.

## « عام آخر يمر... » والعالم العربي خارج سباق نوبل



أ.د. محمد الربيعي

هذا النمط لا يعني أن العقول العربية أقل قدرة. على العكس تماما. إنه يعني أن البيئة العربية - بمخبراتها وتمويلها وحريتها الأكاديمية - لا تزال غير قادرة على احتضان هذه العقول وإنتاجها. وحين يهاجر الباحث العربي إلى بيئة داعمة، يجد ما يفتقده في وطنه: - مختبرا مجهزة، وتمويلا مستقرا، وحرية أكاديمية، وفرقا بحثية متكاملة. عندها فقط يصبح الوصول إلى نوبل ممكنا - لكن باسم مؤسسة غربية، لا باسم جامعة عربية.

التشخيص بالأرقام.. أزمة بنوية لا أزمة أفراد لكن السؤال الأهم ليس "لماذا لا يحصل العرب على نوبل؟"، بل "ما الذي يمنع البيئة العربية من إنتاج الفائزين بنوبل؟" هنا تصبح الأرقام أكثر دلالة من أي خطاب.

مساهمة العالم العربي في الإنتاج العلمي العالمي لا تتجاوز 2%، وفقا لبيانات كتاب "أزمة البحث العلمي العربي" لمحمد الربيعي. هناك دولا عربية مجتمعة سجلت 3.7% من إجمالي النشر العلمي العالمي، لكن لا توجد دولة عربية واحدة تجاوزت حاجز 1% من الانتاج العالمي بمفردها. للمقارنة، تنتج إسرائيل وحدها - بتعداد سكاني لا يتجاوز عُشر سكان المنطقة العربية - إنتاجا علميا يعادل ما تنتجه دول عربية بأكملها من حيث الحجم، مع فارق أكبر في النوعية وعدد الاستشهادات.

أما الاتفاق على البحث والتطوير، وهو المؤشر الأكثر تعبيراً عن جدية الدولة في الاستثمار المعرفي، فيتراوح في معظم الدول العربية بين 0.2% و 0.7% من الناتج المحلي الإجمالي، في حين توصي اليونسكو بنسبة تتراوح بين 2% و 4%. وحتى هذه النسبة المتواضعة، تتوزع بشكل غير متكافئ: - فبينما تصل النسبة في الإمارات إلى 1.5%، تنخفض في دول أخرى إلى 0.1%. للمقارنة، أنفقت الصين 2.8% من ناتجها المحلي الإجمالي على البحث والتطوير في عام 2025، متجاوزة لأول مرة متوسط دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD).

\* بروفيسور متمرس ومستشار تربوي، جامعة دبلن

تتمة ص التالية

نعم، هناك أسماء عربية أخرى نالت نوبل: نادية مراد، الناشطة الأيزيدية العراقية من قضاء سنجار، التي فازت بنوبل للسلام عام 2018 مناصفة مع الطبيب الكونغولي دينيس ميكويغي لجهودهما في وقف استخدام العنف الجنسي كسلاح في الحروب. وهي أول عراقية تحصل على جائزة نوبل. وتوكل كرمان، الصحفية والناشطة اليمنية من مدينة تعز، التي فازت بنوبل للسلام عام 2011 مناصفة مع الرئيسة الليبيرية إلين جونسون سيرليف والناشطة ليما غوي، لتكون أول امرأة عربية تحصل على الجائزة. لكنهما في مجال السلام، وليستا في العلوم أو الأدب أو الاقتصاد.

وحتى في العلوم، نجد منجي الباوندي، العالم التونسي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، الذي فاز بنوبل الكيمياء عام 2023 لأبحاثه في النانوكيمياء. وعمر ياغي، العالم الأردني من أصل فلسطيني، الذي يشغل كرسي الكيمياء في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وفاز بنوبل الكيمياء عام 2025 لتطويره الأطر المعدنية العضوية. وفي الأدب، هناك عبد الرزاق قرنج، الروائي الترناني من أصول يمنية، الذي فاز بنوبل الآداب عام 2021، وهو أول فائز اسود البشرة منذ توني موريسون، لكنه مقيم في بريطانيا ويكتب بالانكليزية.

وهذا يعني أن التمثيل العربي في الجوائز الأكاديمية والعلمية يبقى ضعيفا جدا مقارنة بحجم المنطقة وعدد سكانها وتاريخها الحضاري. والمفارقة الأعمق أن العقل العربي، حين يصل إلى القمة، يصل إليها غالبا من خارج بيئته الأصلية.

المفارقة الكبرى.. العقول العربية تزدهر خارج وطنها

هناك نمط متكرر في قائمة الفائزين العرب بنوبل: أحمد زويل (مصر - كاليفورنيا)، منجي الباوندي (تونس - MIT)، عمر ياغي (الأردن/فلسطين - بيركلي)، عبد الرزاق قرنج (اليمن - بريطانيا). وحتى نادية مراد وتوكل كرمان، رغم أنهما حصلتا على نوبل السلام وهما تعملان داخل المنطقة، فإن جائزتهما سياسية/حقوقية وليست علمية أو أكاديمية بالمعنى الدقيق.

عام آخر يمر، ولا يزال السؤال يتكرر: لماذا لا يحصل العالم العربي على جائزة نوبل؟ ولماذا تمر العقود دون أن يُضاف اسم عربي جديد إلى قائمة الفائزين، بينما تتسابق دول أخرى على حصد الجوائز سنة بعد سنة؟ لكن الحقيقة التي ينبغي قولها بوضوح هي أن العرب ليسوا وحدهم خارج هذا السباق، فالشعوب الآسيوية والأفريقية تشاركهم في ذلك إلى حد كبير، وتواجه بدورها عقبات بنوية في البحث العلمي والتمويل والحرية الأكاديمية والاعتراف العالمي. ومع ذلك، لا يعني هذا أن السؤال العربي يفقد مشروعيته أو خصوصيته، بل يظل مشروعا وملحا، لأن المفارقة العربية أشد وقعا: منطقة واسعة، ذات تاريخ حضاري عريق، وموارد بشرية هائلة، ومع ذلك يظل حضورها في جوائز نوبل العلمية والأدبية محدودا جدا، بل إن العقول العربية، حين تصل إلى القمة، كثيرا ما تصل إليها من خارج بيئتها الأصلية. وهكذا، فإن توسيع الصورة ليشمل الآسيويين والأفارقة لا يُضعف هدف المقال، بل يمنحه سياقاً أعدل وأدق: المشكلة ليست في نقص العقول العربية، بل في البيئة التي تمنعها من النمو والاعتراف.

الحقيقة أن الإحساس بالإحباط مشروع. فحين ننظر إلى القائمة، نجد أن الحضور العربي فيها محدود جدا، خاصة في الجوائز العلمية والأدبية. نجيب محفوظ حصل على نوبل في الأدب عام 1988. أما في العلوم، فأحمد زويل حصل على نوبل في الكيمياء عام 1999، لكن إنجازاه تحقق بالكامل في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا (Caltech) بالولايات المتحدة، حيث كان يعمل أستاذا للكيمياء الفيزيائية. وقد اعترف زويل بنفسه بأن الفضل في اكتشافاته العلمية يعود إلى المختبرات الأمريكية، ولولا الميزانيات المخصصة لما استطاع البحث والمواصلة والحصول على الجائزة.



### نوبل كنتاج لبيئة مؤسسية

السؤال إذن ليس "كيف نصنع فائزا بنوبل؟"، بل "كيف نبني البيئة التي تنتج الفائزين بنوبل؟" والجواب، كما يخلص كتاب "أزمة البحث العلمي العربي"، لا يكمن في مبادرات فردية أو قرارات وزارية ظرفية، بل في استراتيجية عربية موحدة للبحث العلمي، مقسمة إلى مراحل تنفيذية واضحة: التأسيس والتشبيك، ثم بناء المؤسسات والتمويل، ثم بناء القدرات والتعاون، وأخيرا التقييم والتطوير.

ويتطلب ذلك، أولا، الإقرار بأن البحث العلمي ليس ترفا فكريا، بل هو شرط للسيادة وأداة للتنمية. ويتطلب، ثانيا، استعادة شجاعة السؤال والاعتراف بأن الأزمة ليست في غياب العقول العربية — فهي موجودة في كل مكان، داخل المنطقة وخارجها، بل في غياب البيئة التي تسمح لهذه العقول بأن تنمو وتثمر وتُعرف بها عالميا.

الخبر السار أن بعض الدول العربية بدأت تتحرك في هذا الاتجاه. فقد أطلقت الإمارات برامج حوافز ضريبية للبحث والتطوير، ورفعت مخصصاتها البحثية بنسبة 500% في ميزانية 2026. وأطلقت السعودية رؤية 2030 التي تهدف إلى رفع مكانة المملكة في مؤشرات التنافسية العالمية من خلال البحث والابتكار. لكن هذه الجهود، رغم أهميتها، تبقى محدودة وغير كافية لسد الفجوة المعرفية على المستوى العربي ككل.

### الطريق إلى نوبل العربية

عام آخر يمر، والحسرة تتجدد. لكن الأمل يبقى في أن يأتي اليوم الذي لا ننتظر فيه نوبل عربية، بل نراها نتيجة طبيعية لنهضة حقيقية في التعليم والبحث والحرية.

هذه النهضة لن تأتي من انتظار معجزة، بل من بناء صبور لمؤسسات بحثية مستقلة، وتمويل مستقر ومتزايد، وربط عضوي بين الجامعة والمجتمع والاقتصاد، وحرية أكاديمية تسمح بالخطأ والمحاولة والتجربة، وتعاون عربي حقيقي بدل التشردم والتنافس غير المنتج.

نوبل ليست هدفا في حد ذاتها. إنها مؤشر على أن البيئة البحثية العربية أصبحت ناضجة بما يكفي لتحضن العقول، وتدعمها، وتتيح لها أن تنتج معرفة تغير العالم. وحين يتحقق ذلك، لن نحتاج إلى السؤال: "لماذا لا نحصل على نوبل؟" لأن الإجابة ستكون واضحة: لأننا بنينا ما يكفي من البيئة التي تصنع الفائزين..

معظمها في الأدب والعلوم الإنسانية، بينما تترجم إسبانيا نحو 10,000 كتاب، واليابان أكثر من 20,000، والصين أكثر من 15,000. وحتى الكتاب المترجم لا يتجاوز 5% من حجم المنشور على المستوى العربي، وقد يقترب من الصفر بالنسبة للكتب العلمية المتعلقة بعلوم العصر الأساسية.

والنتيجة أن البحث العلمي العربي يعيش عزلة مزدوجة: عزلة عن المجتمع الذي لا يرى في البحث قيمة مباشرة، وعزلة عن العالم الذي لا يمنحه الاعتراف الكامل لأنه لا يُنتج معرفة أصيلة. وحين يهاجر الباحث العربي إلى بيئة داعمة، يجد ما يفقده في وطنه: مختبرا مجهزا، وتمويلا مستقرا، وحرية أكاديمية، وفرقا بحثية متكاملة. عندها فقط يصبح الوصول إلى نوبل ممكنا، لكن باسم مؤسسة عربية، لا باسم جامعة عربية.

### دروس من دول نجحت

ليس من الضروري أن يظل هذا الوضع قدرا. فهناك دول نجحت، خلال عقود قليلة، في بناء منظومات بحثية متينة رغم محدودية مواردها، وأصبحت اليوم منافسة على المستوى العالمي.

ماليزيا، على سبيل المثال، أطلقت خطة "Vision 2020" التي تضمنت إنشاء أكثر من 100 مركز بحثي متخصص، ورفعت الإنفاق على البحث إلى 1.2% من الناتج المحلي. واستهدفت رفع نسبة الإنفاق البحثي إلى 2% من الناتج المحلي بحلول عام 2020، وهو هدف طموح مقارنة بمعظم الدول العربية. وسنغافورة، رغم صغر حجمها، خصصت أكثر من 25 مليار دولار لدعم البحث والابتكار في إطار خطة RIE2025، ثم أطلقت خطة RIE2030 التي تستند إلى نفس النهج.

أما تركيا، فقد انتقلت خلال عقدين من دولة ذات حضور علمي هامشي إلى دولة تحتل المرتبة الثالثة عالميا في عدد الجامعات المصنفة ضمن تصنيفات التاييمز للتعليم العالي، كما أنها تعد الدولة الوحيدة في منظمة التعاون الإسلامي التي تمتلك جامعات مصنفة ضمن أفضل 500 جامعة عالميا. ولديها أكثر من 1,700 مركز بحث وتطوير، وأكثر من 13,000 شركة تعمل في 115 حديقة تكنولوجية. هذه التجارب تشترك في عناصر أساسية: سياسة علمية وطنية طويلة الأمد، وتمويل مستقر ومتزايد، وربط البحث بالاقتصاد، وحرية أكاديمية، وبنية تحتية متكاملة. وهي جميعا عناصر لا تزال غائبة أو ضعيفة في معظم الدول العربية.

والأمر لا يتوقف عند التمويل. فعدد الباحثين في العالم العربي لا يتجاوز 650 باحثا لكل مليون نسمة، مقارنة بمتوسط عالمي يتراوح بين 1,350 و1,600 باحث لكل مليون نسمة. وحتى هذا الرقم المنخفض يخفي تفاوتاً كبيراً بين الدول العربية، حيث تتركز الكثافة البحثية في عدد محدود من البلدان.

أما حصة براءات الاختراع المسجلة دوليا، وهي المؤشر الأكثر مباشرة على تحويل المعرفة إلى قيمة اقتصادية، فلا تتجاوز 0.5% من الإجمالي العالمي. وحتى في قطاع تكنولوجيا الاتصالات، وهو قطاع حيوي للاقتصاد المعرفي، تسجل قطر 17.1 براءة اختراع لكل مليون نسمة، بينما تنخفض النسبة في الإمارات إلى 2.4 والسعودية إلى 1.5، في مقابل 117.5 براءة اختراع لكل مليون نسمة في إسرائيل.

وهذه الأرقام ليست مجرد إحصاءات جافة. إنها "رسائل إنذار"، كما يصفها المؤلف، تؤكد أن البحث العلمي العربي يسير في اتجاه معاكس لمسار العالم. إنها أزمة هوية مؤسسية، وحوكمة، وتمويل، وربط بالاقتصاد الحقيقي، ونزاهة بيانات، وتعاون إقليمي. والنتيجة أن العقول العربية، حين تصل إلى مستوى الانجاز العالمي، تفعل ذلك غالبا من داخل مؤسسات عربية، لا من داخل بيئتها الأصلية.

### لماذا نوبل ليست مجرد جائزة؟

جائزة نوبل، في جوهرها، ليست جائزة للحظة عيقرية عابرة. إنها تنويع لتراكم طويل من العمل المؤسسي والدعم المستمر والحرية الأكاديمية. الفائزون بنوبل في العلوم لا يظهرون من فراغ، يظهرون من مختبرات مجهزة على مدى عقود، ومن فرق بحثية مستقرة، ومن تمويل متواصل لا يتوقف عند كل أزمة مالية أو تغيير حكومي.

وهنا تكمن المشكلة الجوهرية في العالم العربي. فحتى في الجامعات العربية التي تحقق أداء بحثيا ملحوظا، مثل جامعة الملك سعود، وجامعة القاهرة، وجامعة بغداد فإن الإنتاج البحثي يتركز في مجالات محدودة، ويظل الأثر العلمي طويل المدى محدودا. وتشير تقارير "أرسيف" (قاعدة بيانات المجلات العلمية العربية) إلى أن عدد المؤلفين العرب الذين جرى الاستشهاد بإنتاجهم لا يتجاوز 32.57% من إجمالي المؤلفين، وهو مؤشر على أن جزءا كبيرا من النشر العلمي العربي لا يجد طريقه إلى التداول والتراكم المعرفي. والنشر باللغة العربية، رغم أهميته الحضارية، لا يحقق الانتشار الدولي المطلوب. فالعالم العربي يترجم أقل من 500 كتاب سنويا،

## هل الانسحاب الأمريكي مكسب لاتباع إيران في العراق ؟

### الحادي من تشرين 2019.. ثورة الحق ضد الباطل



احسان جواد كاظم

في 2019/10/1 مرت الذكرى السنوية السابعة لانطلاق أعظم وأنظف ثورة في تاريخ العراق الحديث. ثورة الحق ضد الباطل، وثورة المظلومين بوجه الظلم والفساد، ثورة الشباب الذين خرجوا مطالبين بوطن حر كريم، رافضين الفساد والتبعية والتدخلات الخارجية. ثورة تشرين لم تكن مجرد أيام احتجاج، بل كانت صرخة وطن، وذاكرة جيل، وموقفاً سيبقى حاضراً في تاريخ العراق.



تُعدُّ ثورة تشرين (أكتوبر 2019) محطة مفصلية وعلامة فارقة في الذاكرة الجمعية للشعب العراقي، وليست مجرد احتجاج عابر، بل هي ملحمة وطنية جسدت أرقى صور التضحية والوعي المدني السلمي. لقد انطلقت شرارة هذه الاحتجاجات من عمق معاناة الشباب العراقي، لتتحول إلى صرخة مدوية تطالب بالإصلاح، والعدالة الاجتماعية، وبناء دولة تليق بتضحيات وتاريخ هذا الشعب.

إندلعت ثورة تشرين 2019، ببغداد وبقية محافظات جنوب العراق؛ احتجاجاً على تردي الأوضاع الاقتصادية للبلاد، وانتشار الفساد الإداري والبطالة. ووصلت مطالب الشباب المتظاهرين إلى استقالة الحكومة. وندد المتظاهرون أيضاً بالتدخل الخارجي في الشأن العراقي ومصالحة الوطنية، فيما قامت مجاميع من القنصاة وقوات الأمن والشرطة بمواجهة هذه المظاهرات بعنف شديد مستهدفة المتظاهرين بالرصاص الحي.

وبلغ عدد الشهداء من المتظاهرين حوالي 740 شخصاً منذ بدء المظاهرات، وأصيب أكثر من 22 ألف بجروح خلال المظاهرات، من بينهم 3 آلاف "إعاقاً جسدية". فضلاً عن اعتقال العديد من المحتجين وأيضاً قطع شبكة الإنترنت، وتعتبر هذه الممارسات من الأكثر فتكاً في العراق.

المجد والخلود لشهداء تشرين، والنصر لكل من يحلم بوطن أجمل ينعم شعبه بالأمن....

وفي حالات عديدة تدخلت الحكومات العراقية لدى الأمريكان للتوسط عند إسرائيل لمنع ردها على تحرشات مسلحين من داخل الأراضي العراقية لها، وهذا أيضاً انتهى، وربما يعني ذلك إطلاق يد حكومة نتنياهو للتوسعية في العريضة في أجواء البلاد، وهو عز ما تتمناه لتصفية الحسابات مع جدار الصد الأخير الذي يمثل العراق وشعبه.

القائد العام للقوات المسلحة علي الزبيدي استعرض من جانب آخر بما سمي بـ "يوم السيادة"، إكباتات قواتنا المسلحة الدستورية وصنوفها المقاتلة في البر والجو، واستعدادها في فرض السلام على الأرض فيما لو توفرت إرادة حقيقية لفرض النظام والقانون، التي تعرقلها مواقف الاستحياء في قضايا مثل نزاع سلاح المليشيات ودمج الحشد في القوات المسلحة، والمضي في مكافحة الفساد والفاستين ودعم القضاء.

شعبنا العراقي يمقت التدخلات الخارجية في شؤونه الداخلية، من كل شكل ولون، هدفه سيادة ناجزة وحكومة وطنية وتوفر الحياة الحرة الأمانة لأبنائه وتأمين مستقبل أجياله القادمة.

\* أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) رسمياً في 30 سبتمبر 2026 عن اكتمال الانسحاب العسكري الشامل والمنظم لقواتها وقوات التحالف الدولي من العراق، متمثلاً بخروج آخر القوات والمعدات من قاعدة أربيل الجوية.

ينهي هذا الحدث رسمياً عملية "العزم الصلب" ومهمة التحالف العسكرية الجماعية التي انطلقت عام 2014 لمحاربة تنظيم "داعش"، ليتوج مساراً طويلاً من الوجود العسكري الأمريكي في البلاد بدأ منذ غزو عام 2003.

ما الذي سيتغير؟ (طبيعة العلاقة الجديدة)

انتقلت العلاقة الأمنية بين بغداد وواشنطن من إطار تحالف عسكري دولي مباشر إلى شراكة أمنية ودفاعية ثنائية.

بعد تهليل الأطراف المقربة من الجمهورية الإسلامية في إيران بانسحاب القوات الأمريكية من قواعد العراقية وإنهاء الوجود العسكري للتحالف الدولي على أراضيها في 30 أيلول 2026. واحتفالهم الصاخب بالنصر، بعد تحقيق أهدافهم، كما يظنون، هو أمر يحتاج إلى تمحيص...

فالشعارات الرنانة واستعراضات القوة وفرض الإرادات على الدولة وتجاوز سيادتها من خلال نشاطات تسي إلى البلاد لزجها في أتون حرب ليست حربها وليست طرفاً فيها وليست للعراق أي مصلحة في اندلاعها واستمرارها، ليست مصدر ترحيب من المواطنين العراقيين التواقين إلى حياة السلام والبناء.

نتائج الانسحاب الأمريكي قد تكون وخيمة على الفصائل والمليشيات والحشد الشعبي بالخصوص ومن ورائها إيران، لأن الحماية الأمريكية من خلال اتفاقية التعاون الاستراتيجي مع الحكومات العراقية المتعاقبة برؤساء وزرائها المعينين من قبل إطارهم التنسيقي الشعبي بالتحديد، كفلت للمسلحين السلامة النسبية أيضاً، لأن الاتفاقية كانت تكبل، من جانب آخر، الشريك الأمريكي وتمنعه في حالات عديدة من الانتقام العسكري على قصف قواعده وتهديد حياة جنوده، وقد رُفعت الآن، وأصبحت ايديها حرة..

وهي بالنهاية لم تسحب قواتها بعيداً عن حدود العراق وهي قادرة في أية لحظة بالتدخل عندما تتطلبها ظروف الحرب مع إيران.

## سوق المشاعر الهشة: الإنسان الحديث وتاريخ صلاحية العلاقات



حيدر حسين سويري

تجلس النظريات النفسية والاجتماعية على رفوف المكتبات لتقنعنا بأن الإنسان كائنٌ يسعى بطبعه للحب، والانتفاء، والأمان الروحي. لكن يكفي أن تنزل إلى الشارع، وتبتعد قليلاً عن عاطفتك، لتراقب البشر بعين مجردة وباردة؛ حينها ستدرك أن الجوهر الحقيقي للغالبية قد انحرف نحو نموذج آخر: نحن كائنات "استهلاكية" تبحث في المقام الأول عن سد النقص وتغطية الثغوب الداخلية.

من "الغاية" إلى "الوسيلة": اتساع رقعة التسليع العاطفي

لم يعد التبادل البشري في عصرنا الحاضر قائماً على فكرة التكامل الاجتماعي أو التعاطف المبدئي الذي نصت عليه الأدبيات الكلاسيكية، بل تحول القرب والابتعاد إلى حركات ميكانيكية تُدار بمبدأ العرض والطلب. لقد أثرت ثقافة الرأسمالية والسرعة الفائقة على أعماق دواخل النفس البشرية، حتى غدا الآخر في عين الفرد ليس ذاتاً مستقلة لها قدسيته، بل "أداة" تُقاس جودتها بمدى نفعها ووظيفتها.

لقد تحولت العلاقات في عصرنا إلى ما يشبه الأسواق السوداء؛ يُباع فيها ويُستورى بكل شيء: بالمواقف، وبالاهتمام، وحتى بالوعد البَرَاقَة. تفرض عليك فلسفة البقاء في هذا الزمن أن تتقبل حقيقة قاسية ومجردة: لن يتقرب منك أحدٌ إلا إذا كان هناك فراغٌ خاص داخل روحه يريد سده من خلالك. وما إن تنتهي الحاجة أو يمتلئ ذلك الفراغ، حتى ينسحب ببرود، وكأنك لم تكن يوماً مركز كونه أو سر أمانه.

زمن "السيولة البشرية" وتاريخ الصلاحية:

في هذا الفضاء الإنساني المضطرب، لم تعد الروابط تنمو كالأشجار لتتحدى العواصف، بل أصبحت تتشكل كالماء في القوالب المؤقتة، تتغير بتغير المصلحة وتتلاشى بزوال السبب. فالإنسان الحديث لم يعد يبحث عن سكنٍ لروحه بقدر ما يبحث عن "مستودع" يسد فيه جوعه العاطفي والوجودي، ليتحول الآخر في عينه من

"غاية" تُحترم لذاتها إلى مجرد "وسيلة" تُستهلك وتُستبدل.

إننا نعيش في عصر "السيولة البشرية"، حيث أصبحت المشاعر مجرد عملة رخيصة في سوق المقايضات اليومية، تُتفق بحذر وتُسحب بانتظام فور جفاف المصلحة وتلاشي الاحتياج. وتتجسد هذه الظاهرة في التبدل السريع للأصدقاء، والشركاء، وحتى المعارف العابرين، حيث يمتلك كل رصيد عاطفي "تاريخ صلاحية" مدوناً بخط خفي منذ اللحظة الأولى للقاء. فالوعد البريق الذي تُقطع في لحظات الاحتياج الشديد تبدأ بالتحلل التدريجي بمجرد الاستغناء، ليتكشف المنظر عن واقع نفعي بحث لا مكان فيه للمثاليات المنمقة.

شجاعة العطاء فوق أرض صلبة:  
هذا الوعي قد يبدو للوهلة الأولى مرعباً؛ أن تعطي وتتفاعل وأنت تدرك سلفاً أن لكل علاقة "تاريخ صلاحية" محدد. غير أن هذا الوعي ليس سوداوية ولا تشاؤماً في الرؤية، بل هو الحقيقة العارية بعد أن انقشع عنها وهم المثالية الفلسفية. إن إدراك قواعد اللعبة لا يعني الانسحاب منها ولا يعني التحول إلى كائن جاف ومتبلد، بل يعني إعادة تعريف آليات الحماية الذاتية ومنح العطاء حجمه الطبيعي دون الانهيار عند نقطة النهاية المتوقعة. إن معرفتك المسبقة بتاريخ صلاحية الوعد وخلفياتها النفعية ليست خذلاناً يسقطك في الفجيرة، بل هي ذروة النضج والاستنارة. فالأقوياء وحدهم هم من يملكون شجاعة العطاء والتعامل في سوق يعلمون سلفاً أن كل بضائعها العاطفية معروضة للبيع، وأن المشهد الأخير في مسرحية العلاقات قد كُتبت خطوطه الأولى منذ اللحظة التي دُقت فيها طبول الحاجة.

بقي شيء...

ينقلنا هذا الفهم من خانة "الضحية المنكسرة" إلى خانة "المراقب الواعي". فعندما نتقبل حقيقة أن الاستهلاك أصبح جزءاً من نسيج العلاقات الحديثة، نتحرر من صدمة الفقد، ونستطيع تقديم الحب والدعم بذواتنا ولأجل قيمة العطاء ذاتها، لا انتصاراً لرهان الأبدية الزائف، بل استمتاعاً باللحظة الحاضرة مع إبقاء أقدامنا ثابتة على أرض الواقع الصلبة.

## ملحمة تشرين الخالدة.. ومضة وعي لأجل وطن

ملحمة تشرين: بقطة وعي وشعور وطني في تاريخ العراق الحديث..

تشرين العظيمة، ثورة الوعي والكرامة التي خرج فيها شباب العراق مطالبين بوطن حر خال من الفساد والتبعية. هي ليست مجرد انتفاضة، بل تاريخ كتبه الشهداء بدمائهم، وحلم ما زال حياً في قلوبنا من أجل العدالة، الحرية، والكرامة الإنسانية.



### جنور الغضب وأسباب الانطلاق

لم تكن تشرين وليدة الصدفة، بل جاءت نتيجة تراكمات طويلة من الأزمات الهيكلية التي عانى منها العراق لسنوات طويلة. تمثلت أبرز أسباب اندلاع الثورة فيما يلي:

تردي الخدمات الأساسية: النقص الحاد في الكهرباء والمياه الصالحة للشرب، وضعف البنى التحتية رغم الوفرة المالية السابقة.

البطالة والفقر: تفشي البطالة بين صفوف الخريجين والشباب، وغياب الفرص الحقيقية للعمل في ظل اقتصاد أحادي الجانب.

الفساد الإداري والمالي: استئثار الفساد في مؤسسات الدولة وهدر المال العام، مما أدى إلى تراجع الثقة بالمنظومة السياسية السائدة.

المطالبة بالسيادة الوطنية: الرغبة الجارفة لدى الجيل الناشئ في بناء دولة قوية مستقلة بقرارها، بعيدة عن المحاصصة الحزبية والتدخلات الخارجية.

أجبرت الاحتجاجات الواسعة في أكثر من 10 محافظات إلى تقديم حكومة عادل عبد المهدي استقالته في 30 نوفمبر 2019. وفي حينها أدت إلى تغييرات سياسية: وحل مجالس المحافظات، ودفع باتجاه تشكيل حكومات جديدة وإجراء انتخابات مبكرة..

شكلت تشرين منعطفاً تاريخياً في الوعي الجمعي السياسي والاجتماعي للعراقيين تحت شعارها الأبرز " نريد وطن "

## «المنتدى العالمي»

## كيفية حل الأزمة... ضغوط جديدة على أسعار النفط

(2)

## \* ترجمة: صوت الصعاليك

• الاستثمار المقترح: تحويل ما لا يقل عن 25% (حوالي 15 مليار يورو سنوياً) من الأموال المخصصة لخفض الضرائب على الوقود إلى مجالات الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وشبكات الكهرباء وتقنيات التخزين والمركبات الكهربائية والمضخات الحرارية.

الأولوية الثانية: إعادة تنشيط إنتاج الطاقة الشمسية في أوروبا (تحقق نتائج خلال 2-4 سنوات)

• حقائق: تأتي ما بين 94% و98% من الخلايا والألواح الشمسية المُركَّبة في الاتحاد الأوروبي من الصين. وتبلغ تكلفة إنتاج اللوح الشمسي الأوروبي 10.3 سنت يورو إضافية لكل واط. ويستهدف الاتحاد الأوروبي الوصول إلى نسبة 40% من الإنتاج المحلي بحلول عام 2030، إلا أن ست دول فقط من الدول الأعضاء تطبق قواعد المزايدات الخاصة بذلك. • الاستثمار المقترح: تغطية فجوة التكلفة لـ 40% من الطلب السنوي، أي ما يعادل حوالي 2.3 مليار يورو سنوياً، مع جعل القواعد ملزمة في جميع الدول الأعضاء السبع والعشرين.

الأولوية الثالثة: الطاقة النووية (تتحقق نتائج تمديد عمر المحطات خلال 1-5 سنوات؛ وتدخل المفاعلات الصغيرة الخدمة في أوائل ثلاثينيات القرن الحالي)

• حقائق: يُشغل الاتحاد الأوروبي 98 مفاعلاً تولّد 24% من احتياجاته من الكهرباء. ويحتاج الاتحاد إلى استثمارات بقيمة 241 مليار يورو بحلول عام 2050، منها 36 مليار يورو مخصصة لتمديد العمر التشغيلي للمحطات القائمة، بينما تبلغ قيمة الضمانات المالية للمفاعلات الصغيرة 200 مليون يورو.

• الاستثمار المقترح: إعطاء الأولوية لتمديد عمر المحطات القائمة أولاً، ورفع قيمة الضمانات المالية للمفاعلات الصغيرة لتصل إلى عدة مليارات.

الأولوية الرابعة: الاندماج النووي (تتحقق النتائج في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الحالي)

• حقائق: يبلغ حجم التمويل الخاص لمشاريع الاندماج النووي 13 مليار يورو على مستوى

العالم: 6.9 مليار يورو في الولايات المتحدة، و4.4 مليار يورو في الصين، و712 مليون يورو في الاتحاد الأوروبي. وتبلغ ميزانية الاتحاد الأوروبي المخصصة لهذا المجال 222 مليون يورو للفترة 2026-2027، في حين تعهدت ألمانيا باستثمار أكثر من 2 مليار يورو بحلول عام 2029.

• الاستثمار المقترح: رفع مستوى تمويل الاتحاد الأوروبي ليضاهي الاستثمار الألماني، والمشاركة في الاستثمار لزيادة حصة أوروبا التي تبلغ حالياً.

## حتى ذلك الحين: مسارات وموردون بديلون

• خطوط الأنابيب المحيطة بالمضيق: – تضاعف الإمارات العربية المتحدة قدرة خطها الالتفافي (البديل) لتصل إلى 3.6 مليون برميل يومياً بحلول منتصف عام 2027.

– ينقل الخط السعودي المتجه إلى ينبع 7 ملايين برميل يومياً، لكن الميناء لا يشحن سوى 4.5 إلى 5 ملايين برميل، وتتوفر إمكانية التوسع في ذلك بدءاً من عام 2028.

– يمكن لخطوط الأنابيب مجتمعة أن تغطي أكثر من 60% من صادرات الخليج بحلول نهاية عام 2028.

• موردون آخرون: تضيف كل من الولايات المتحدة والبرازيل وكندا وغيانا والأرجنتين 1.4 مليون برميل يومياً في عام 2026، و20 مليون برميل في عام 2027.

• الاحتياطات: قامت الدول الأعضاء في وكالة الطاقة الدولية (IEA) بطرح 400 مليون برميل من احتياطاتها البالغة 1.2 مليار برميل؛ ويتعين عليها إعادة ملء هذه الاحتياطات ورفع الحد الأدنى المطلوب للاحتياطي من ما يعادل 90 يوماً من الواردات إلى 120 يوماً.

• الغاز: توقفت 17% من القدرة الإنتاجية القطرية عن العمل لفترة تتراوح بين 3 و5 سنوات، في حين لا تزال هناك كميات من الغاز الأمريكي تبلغ حوالي 25 مليون طن سنوياً غير مرتبطة بعقود بيع.

ما هي المفاوضات التي جرت بالفعل – ولماذا فشلت؟

لم تغب الدبلوماسية عن المشهد؛ فقد لعبت كل من سلطنة عمان وباكستان دور الوسيط بين

إيران والولايات المتحدة، كما حاولت قطر أيضاً استئناف المحادثات. وفي 17 يونيو/حزيران، وقعت واشنطن وطهران مذكرة تفاهم من 14 بنداً تنص على إجراء مفاوضات لمدة 60 يوماً بشأن مضيق هرمز، والعقوبات، وبرامج إيران النووية والصاروخية، وقضايا أخرى. غير أن هذا الترتيب انهار في غضون أسابيع بسبب خلافات حول الجهة التي تسيطر على مسارات الشحن عبر مضيق هرمز، وهجمات استهدفت سفناً تجارية، وتجدد الضربات المتبادلة بين الولايات المتحدة وإيران، حيث اتهم كل طرف الآخر بانتهاك الاتفاق.

وفي الأونة الأخيرة، وضعت إيران وسلطنة عمان إطاراً لإنشاء ممر شحن مؤقت وإدارة المضيق مستقبلاً، إلا أن المحادثات المزمع إجراؤها بين إيران ودول الخليج في صلالة قد أُلغيت وسط خلافات بين دول الخليج – بما في ذلك مخاوف سعودية أشير إليها – في حين رفضت البحرين المشاركة. وبناءً على ذلك، لم تكن العقبة الرئيسية هي غياب المفاوضات، بل الخلافات حول التنفيذ، والسيطرة على مضيق هرمز، والضمانات الأمنية، وآليات الإنفاذ. ويسعى الاتفاق المقترح إلى معالجة هذه النقاط العالقة بدلاً من البدء في المفاوضات من الصفر.

مقترح المعاهدة: اتفاقية المرور الآمن عبر مضيقي هرمز وباب المندب

يُعرض الاتفاق في 22 سبتمبر/أيلول في نيويورك على الطرفين (انظر خطة العمل أعلاه).

• الأطراف: إيران، عُمان، ودول الخليج، والولايات المتحدة، والكويت، والمملكة العربية السعودية، والحكومة اليمنية. تلعب عُمان وباكستان دور الوسيط. يضمن الاتفاق قرار صادر عن مجلس الأمن الدولي، بمشاركة الصين والهند واليابان وكوريا الجنوبية كضامنين مشاركين. وتلتزم إسرائيل بموجب رسالة جانبية أمريكية.

\* المقترح صدر عن المنتدى يوم 20 سبتمبر 2026 ونشر في وسائل الاعلام العالمية.. الترجمة تمت لاحقاً.

تنمة ص التالية

## كيفية حل الأزمة... ضغوط جديدة على أسعار النفط

• الخطوة 3: يوجه الأمين العام للأمم المتحدة دعوة إلى المملكة العربية السعودية والحوثيين والحكومة اليمنية. المكان: مسقط (بشكل متوازن). الزمان: منتصف أكتوبر.

• الخطوة 4: تبادر كل من الصين والهند واليابان وكوريا الجنوبية بدعوة نفسها للمشاركة بصفة مراقبين، فيما يتعلق بالضمانات والصندوق المالي. المكان: بالترتيب مع الخطوة 2. الزمان: منتصف أكتوبر.

• الخطوة 5: يوجه مجلس الأمن الدولي دعوة إلى جميع الأطراف للمصادقة على الاتفاق النهائي. المكان: نيويورك. الزمان: في غضون 180 يوماً.

لماذا قد تفكر إيران في هذا الأمر؟

• يبلغ سعر صرف الريال الإيراني 2.36 مليون مقابل الدولار الواحد. ويتوقع صندوق النقد الدولي انكماش الاقتصاد بنسبة 6.1% وارتفاع التضخم إلى 68.9%.

• انخفضت صادرات النفط من 2.1 مليون برميل يومياً إلى الصفر في شهر مايو، مقارنة بإيرادات ما قبل الحرب التي كانت تبلغ 30 مليار دولار سنوياً على الأقل.

• يمر أكثر من 90% من تجارة إيران عبر المضيق، وقد شهدت هذه التجارة تراجعاً بنسبة تتراوح بين 25% و35%.

• تلي الاتفاقية أربعة من مطالب إيران الستة: إنهاء الحرب، ورفع الحصار، وإنهاء العقوبات، والإفراج عن الأصول المجمدة. كما أنها تستجيب لمطلب التعويضات من خلال صندوق إعادة الإعمار.

• وافقت إيران بالفعل على المرور المجاني (دون رسوم) لفترة انتقالية ضمن مسودة الترتيبات التي وضعتها مع سلطنة عمان.

• يتولى الحرس الثوري إدارة نحو نصف صادرات النفط الإيرانية، وتوفر رسوم الخدمة له حصة قانونية من العوائد.

تواجه أسواق الطاقة العالمية أزمة متصاعدة بأسعار النفط لتتجاوز عتبة الـ 100 دولار للبرميل، نتيجة التوترات الجيوسياسية في الشرق الأوسط واتساع اضطرابات سلسلة الإمداد في الممرات المائية الحيوية. ولامتصاص الصدمة تلجأ الحكومات إلى آليات مباشرة تزيد من تحمل المستهلكين تكاليف عالية لكبح جماح التضخم.

• الخطوة 1 (72 ساعة): وقف جميع الهجمات على السفن ووقف كافة الضربات، وافتتاح مركز للتعامل مع الحوادث في مسقط.

• الخطوة 2 (الأيام 3-30):  
– رفع الحصار الأمريكي والعقوبات النفطية، وإزالة الألغام.  
– إدارة مشتركة للمضيق من قبل إيران وعمان.

– تسوية بشأن رسوم العبور: لا توجد رسوم عبور، بل رسوم خدمة اختيارية ومحددة السفن تُودع في حساب مشترك وخاضع للتدقيق بين إيران وعمان.

– تسليم الحوثيين الجزر التي استولوا عليها في البحر الأحمر إلى مراقبي الأمم المتحدة. وفي المقابل، يُعاد فتح ميناء الحديدة ومطار صنعاء، وتُدفع رواتب القطاع العام.

• الخطوة 3 (الأيام 30-90): توفير حماية بحرية للسفن وإنشاء مجمع تأميني لها. يتم تجديد الإعفاء من العقوبات كل 60 يوماً بشرط عبور 70 سفينة أو أكثر يومياً.

• الخطوة 4 (الأيام 90-180):

– حظر الأسلحة النووية مع الخضوع لعمليات التفتيش.

– فرض قيود على الصواريخ.

– إنشاء صندوق لإعادة الإعمار بتمويل من دول الخليج والدول الآسيوية.

– ضمان أممي لإيران بعدم الاعتداء عليها.

– وقف إطلاق النار بين السعودية والحوثيين.

• الإنفاذ: تحديد المسؤولية عن الانتهاكات في غضون 48 ساعة. العقوبات تلقائية: تفقد إيران الإعفاء، وتفرض الولايات المتحدة عن الأصول المجمدة قبل مواعدها، ويُحرم الحوثيون من واردات الوقود. من يدعو من بعد نيويورك؟

• الخطوة 1: توجه سلطنة عمان دعوة إلى إيران ووزراء خارجية دول الخليج لتوقيع نص اتفاقية "الممر". المكان: صلالة. الزمان: الأسبوع الذي يبدأ في 5 أكتوبر (في حال عدم التوصل إلى تسوية في نيويورك).

• الخطوة 2: توجه سلطنة عمان وباكستان دعوة إلى الولايات المتحدة (ويتكوف، كوشنر) وإيران (عراقجي، قاليباف). المكان: مسقط. الزمان: منتصف أكتوبر.

## تشرين العظيمة في العراق ثورة وطن

قاسم المرشدي

حلت علينا في الأول من أكتوبر/ تشرين الأول الذكرى السابعة لثورة تشرين، أعظم ثورة وطنية في تاريخ العراق الحديث، المظاهرات السلمية التي انطلقت. بهدف عراقي سام ونبل تلخص بـ "نريد وطن"، وطن حقيقي يستعيد الشعب من يد منظومة المحاصصة والطبقة السياسية الحاكمة وفصائلها المسلحة التي هيمنت على البلاد منذ عام 2003.

فلم يطالب العراقيون التشريون بتوفير الكهرباء على مدار الساعة، أو توفير الماء الصالح للاستهلاك البشري، أو المستشفيات التي تليق بالعراق البلد الثري جداً، أو المساواة في سلم الرواتب، بل ينظرون إلى هذا البلد الذي تحول إلى مزارع وإقطاعات على حساب السيادة الحقيقية التي لا يرفع فيها إلا علم وراية واحدة، فقالوا:

"نريد استعادة الوطن، نريد وطن."



لم تكن تشرين حركة شخصية، ولا عائلية، ولا حزبية، ولا مناطقية، ولا طائفية، بل كانت حركة وطنية عراقية خالصة، عبرت الجماهير عن هويتها وبوصلتها المباشرة بوضوح قاطع من خلال شعاراتها الهادرة في مئات الميادين في المحافظات العراقية.

وأمام هذا التدفق الوطني الصافي، استعان الطرف المهيمن بكل ما يملك من قوة وسلاح لقمع الثورة وقتل أحرارها وتشويه دوافعها، مما أسفر عن سقوط أكثر من 1500 قتيل والآلاف من الجرحى والمصابين وعشرت المعوقين والمغييبين قسراً والملاحقين من العراقيين المتظاهرين العزل.

المجد والخلود لشهداء تشرين، والحرية للمعتقلين، والنصر لكل من يحلم بوطن...

كتب لي صديق:

## ماذا بقي من العراق الذي نعرفه؟

آراء حرة



عصام الياسري

قد نختلف في تفسير الأسباب، وقد تختلف مواقفنا من المسؤولين عنها، وقد نرفض بعض التوصيفات الواردة في الرسالة، لكن من الصعب أن نرفض الشعور الذي يقف خلفها. فهذا الشعور لم يولد من فراغ.

العراقي عاش عقوداً طويلة من الاستبداد والحروب والحصار والاحتلال والعنف والإرهاب والانقسام السياسي والاجتماعي، ثم عاش مرحلة طويلة من الاضطراب السياسي والفساد وضعف المؤسسات وتعدد مراكز النفوذ وتراجع الثقة بالدولة. وكل مرحلة تركت في ذاكرته جرحاً جديداً، حتى تراكمت الجروح إلى درجة جعلت بعض العراقيين يشعرون بأن الوطن الذي عرفوه لم يعد موجوداً بالصورة التي بقيت في ذاكرتهم.

لكن هل انتهى العراق فعلاً؟ لا أعتقد ذلك. فالذي يمكن أن ينتهي هو نظام سياسي، أو مرحلة تاريخية، أو مشروع سياسي، أو صورة معينة للدولة، أما العراق كبلد وكشعب وكذاكرة وحضارة فلا يمكن اختزاله في حكومات فاشلة أو أحزاب متصارعة أو مراحل مظلمة.

المشكلة أن الإنسان العراقي بدأ يفقد شيئاً أخطر من الأرض: يفقد الثقة بالمستقبل. وهنا تصبح القضية أكبر من أزمة سياسية. فالإنسان يستطيع أن يتحمل الفقر فترة، وأن يتحمل نقص الخدمات، وأن يصبر على البطالة، وأن يتجاوز أزمة أمنية أو اقتصادية، لكنه يصبح في وضع أكثر خطورة حين يفقد الإيمان بأن الغد يمكن أن يكون أفضل من اليوم. عندها يتحول الوطن من مشروع للمستقبل إلى مجرد ذاكرة للماضي.

ولذلك فإنني أقرأ عبارة صديقي «العراق انتهى» بطريقة مختلفة. ربما هو لا يقصد أن العراق اختفى، وإنما يقصد أن الصورة التي كان يحملها عن العراق، بوصفه دولة ذات "سيادة؟" ومؤسسات ومكانة ومستقبل، قد تعرضت إلى تصدعات عميقة. وهنا لا يمكن أن نكتفي بالقول إن الآخرين هم السبب.

نعم، تعرض العراق لتدخلات خارجية كثيرة، وما زالت مصالح إقليمية ودولية تتقاطع فوق أرضه. نعم، لم تكن السياسات الأميركية والإيرانية والتركية والعربية تجاه العراق منفصلة عن مصالحها وحساباتها. ونعم، ترك الاحتلال وتفكيك مؤسسات الدولة بعد عام

كتب لي صديق عراقي رسالة صباحية قصيرة، لكنها لم تكن في حقيقتها رسالة صباحية عابرة. كانت رسالة مثقلة بقلق واضح على وطنه، وبذلك النوع من الألم الذي لا يحتاج إلى كثير من الكلمات كي يكشف حجم ما يعتل في داخله.

قال لي: «أرجو أن تكون بخير وصحة وعافية، واعذرنني أن أكون صريحاً أمام مشاعرك الوطنية حينما تكتب بآلم عما يجري في بلاد الرافدين، وطننا الذي نعرفه». ثم مضى في رسالته ليقول إن العراق، في شعوره، «انتهى منذ عقود»، وإنه لم يعد يأتي منه إلا الأخبار السيئة والمحبطة والسلبية. وتحدث عن عقود البعث التي أدخلت العراق في «دهاليز مظلمة»، وعن محيط إقليمي ودولي يرى أنه لم يعد يتعامل مع العراق باعتباره دولة تمتلك قرارها ومصالحها، بل باعتباره ساحة مفتوحة لتضارب المصالح والنفوذ. ثم قال عبارته الأكثر قسوة: «للأسف بلد منزوع السيادة، لا حول ولا قوة له».

وحين قرأت الرسالة حتى النهاية، لم أفكر أولاً في كيفية الرد على صديقي - أواقفه الرأي أو أختلف معه في بعض تشخيصاته - إنما توقفت عند السؤال الأهم: كيف وصل إنسان عراقي إلى هذه الدرجة من اليأس تجاه وطنه؟

ربما هنا تكمن أهمية الرسالة كلها. فهي ليست مجرد رأي سياسي لشخص غاضب أو متشائم. إنها، في جانب منها، صورة لحالة نفسية وإنسانية يعيشها عراقيون كثيرون، بدرجات مختلفة، وهم ينظرون إلى بلدهم ويتساءلون: ماذا حدث لنا؟ وكيف وصل العراق، بكل تاريخه وثقله الحضاري والبشري، إلى هذه الحال؟

2003 أثارا خطيرة لا يمكن تجاهلها. لكن السؤال الذي يجب أن نمثلك شجاعة طرحه هو: لماذا استطاعت كل هذه القوى أن تجد داخل العراق هذه المساحات الواسعة للتأثير؟

الدول الأخرى تتحرك وفق مصالحها. وهذه قاعدة في العلاقات الدولية لا تحتاج إلى كثير من التفسير. لكن الدولة التي تمتلك مؤسسات قوية، وقراراً سياسياً واضحاً، وقانوناً نافذاً، ومجتمعاً يؤمن بالمواطنة، تستطيع أن تحمي مصالحها حتى في أكثر البيئات اضطراباً. أما حين تصبح الدولة نفسها موضع تنازع، وحين تتعدد مراكز القرار، وحين يصبح السلاح خارج إطار المؤسسات الرسمية، وحين تتقدم الولاءات الحزبية أو الطائفية أو الفئوية على الانتماء الوطني، فإن السيادة تصبح عنواناً أكثر منها ممارسة حقيقية. وهنا تبدأ مسؤولية العراقيين أنفسهم.

لا أقول ذلك لإعفاء السياسيين من مسؤولياتهم، ولا لأضع المواطن في موضع المسؤول الأول عن الخراب. فالسلطة تمتلك أدوات القرار، والسياسيون يتحملون المسؤولية الأكبر عن السياسات التي اتخذوها والنتائج التي ترتبت عليها. لكن الشعوب أيضاً لا تستطيع أن تبقى خارج التاريخ.

إن استمرار الفشل السياسي لا يصبح ممكناً إلا عندما يجد بيئة تسمح له بالاستمرار. والفساد لا يعيش طويلاً من دون صمت أو قبول أو عجز اجتماعي عن مواجهته. والمحاصصة لا تتحول إلى نظام دائم إلا حين تتراجع فكرة المواطنة

تمتة ص التالية



أمام الولاءات الأخرى. والاستبداد لا يستمر فقط بقوة السلطة، وإنما أيضا بضعف المجتمع وقدرته المحدودة على الدفاع عن حريته وحقوقه.

لذلك فإن السؤال الذي ينبغي أن يوجه إلى العراقيين اليوم ليس فقط: من أوصل العراق إلى هذه الحال؟ بل أيضا: ماذا نستطيع أن نفعل حتى لا نترك هذه الحال لأبنائنا؟

إنها مسؤولية أخلاقية قبل أن تكون سياسية. فالجيل الحالي يستطيع أن يغادر السلطة، وأن تتغير أحزابه، وأن تتبدل تحالفاته، وأن تنتهي صراعاته، لكن الأطفال الذين يولدون في العراق اليوم لن يستطيعوا مغادرة نتائج هذه السياسات. هم الذين سيرثون الاقتصاد الذي نبنيه، والتعليم الذي نهمله أو نطوره، والمؤسسات التي نحترمها أو نخطمها، والثقافة التي نرسخها، وعلاقة المواطن بالقانون، ومفهوم الدولة، ومستوى الحريات، وطبيعة العلاقة بين العراق والعالم. وهنا يصبح مستقبل الأجيال القادمة هو الاختبار الحقيقي لصديق أي حديث عن الوطنية.

ما قيمة أن نرفع شعارات الدفاع عن العراق إذا كنا نترك أبناءنا أمام دولة ضعيفة واقتصاد مأزوم وتعليم متراجع وفرص محدودة ومستقبل مجهول؟ وما قيمة الحديث عن السيادة إذا لم نتفق أولا على أن القرار الوطني يجب أن يصدر من مؤسسات الدولة، وأن السلاح ينبغي أن يكون خاضعا للقانون، وأن المواطن يجب أن يكون فوق الانتماات الضيقة حين يتعلق الأمر بمصير وطنه؟

إن الوطنية ليست كلمات جميلة في المناسبات. الوطنية أن نضع الدولة فوق الحزب، والقانون فوق القوة، والمواطنة فوق الطائفة، والمصلحة العامة فوق المصالح الشخصية، ومستقبل الأطفال فوق حسابات السلطة الآنية. ومن هنا أيضا تأتي مسؤولية القوى المدنية والديمقراطية والمتقنين والصحفيين والنخب الاجتماعية.

ليس كافيا أن نشخص الخراب. وليس كافيا أن نكتب كل يوم عن الفساد وسوء الإدارة والتدخلات الخارجية والانقسامات. المطلوب أن تساعد المجتمع على استعادة قدرته على التفكير والمساءلة والرفض.

فالتنوير في بلد مثل العراق ليس ترفا ثقافيا. إنه ضرورة سياسية واجتماعية. أن يعرف الإنسان حقوقه، وأن يدرك أن الدولة ليست ملكا للحاكم، وأن المسؤول ليس فوق القانون، وأن الاختلاف السياسي لا يعني الخيانة، وأن حرية التعبير ليست جريمة، وأن المواطنة لا تتطلب التخلي عن الهوية الدينية أو القومية أو الثقافية، وإنما تعني أن تكون كل هذه الهويات تحت سقف دولة واحدة وقانون واحد.

وربما يكون أخطر ما نواجهه اليوم هو أن يتحول اليأس إلى ثقافة عامة. حين يقول الشاب العراقي: لا مستقبل لي هنا. وحين يقول الأب: أريد أن يغادر أبنائي البلد كي يعيشوا بأمان. وحين يقول المثقف: لا فائدة من الكلام. وحين يقول المواطن: لا شيء سيتغير. عندها لا تكون الدولة قد خسرت معركة سياسية فقط، وإنما تكون قد بدأت تخسر الإنسان نفسه. وهذا أخطر من أي أزمة أخرى.

لذلك، حين عدت إلى رسالة صديقي، توقفت عند مفارقة لافتة. هو يقول إن العراق انتهى، لكنه لا يزال يتألم من أجله. والإنسان الذي لا يعني له وطنه شيئا لا يكتب عنه بهذا الألم. ربما تكون رسالته، رغم كل ما فيها من تشاؤم، دليلا على أن شيئا من العراق ما زال حيا في داخله. وهذا الشيء الحي هو الأمل، حتى لو جاء في صورة غضب. لذلك لا أريد أن أجيبه بأن العراق بخير، لأن العراق ليس بخير. ولا أريد أن أقول له إن كل شيء سيتغير قريبا، لأنني لا أملك مثل هذا الوعد. لكنني أريد أن أقول له شيئا آخر: العراق لم ينته، لكن شيئا عميقا انكسر في علاقتنا به. وانكسار هذه العلاقة لا يعالج بالخطابات ولا بالشعارات، وإنما بإعادة بناء الثقة بين المواطن والدولة، وبين الإنسان ووطنه، وبين الحاضر والمستقبل.

قد يكون الطريق طويلا، وقد لا نرى نحن نهايته. لكن ذلك لا يعفينا من مسؤولية البدء. فالأجيال القادمة لن تسألنا فقط: من الذي أخطأ؟ قد تسألنا سؤالا أكثر قسوة: ماذا فعلتم وأنتم ترون وطنكم يذهب إلى المجهول؟

وعندها لن يكون كافيا أن نقول إن الظروف كانت صعبة، وإن الخارج تدخل، وإن السياسيين أخطأوا، وإن الزمن كان قاسيا.

انما، سيكون علينا أن نجيب عن السؤال الذي يخصنا نحن. هل اكتفينا بالكاء على العراق الذي فقدناه؟ أم حاولنا أن نمج أبناءنا عراقا آخر، عراقا يستطيعون أن يعيشوا فيه مواطنين أحرارا، في دولة تحميهم، وقانون يساوي بينهم، ومستقبل لا يكون فيه الوطن سببا للهجرة، ولا السيادة مجرد كلمة، ولا الديمقراطية مجرد شعار؟ ذلك، في تقديري، هو السؤال الذي ينبغي أن يبقى مفتوحا. فالعراق لا يحتاج اليوم إلى من يقول له إنه مات. إنه يحتاج إلى من يمتلك الشجاعة ليقول: لقد أخطأنا كثيرا، لكننا لن نسمح بأن يرث أبنائنا أخطاءنا إلى الأبد.

\*\*\*

متابعة سيدة عراقية



ق ع ظ

شعور صديقك كشعوري استاذي العزيز: في نظري السياسي ارى العراق غابة مدهلة (دهاليز) من يدخلها اما ان يصبح شخص مدهلز بلا طريق ومستقبل مقلدا طبقة سياسية فاشلة ولصوصية كاذبة او اما يهاجر الى المجهول وينسى العراق او اما يموت حسرة والمال...

كعراقية فقدت الامل والمواطنة وحتى حبي العميق لبلد ولدت فيه من ابوين عراقيين كريمين. تحملت التهجير وانا طفلة وشاهدت معاناة والدي في كل محطة من حياتنا ننظر فيها ساعة الفرج ونهاية النظام الفاشي الصدامي. سقط النظام وتنفسنا الصعداء والا بنا نرى طبقة جشعة، حقودة، طامعة بخيرات العراق ومقدراته تحكم بلادي. حرموني من حقوقي والاعتراف بشهادتي الجامعية الالمانية وكل تعويض. لا املك شبرا من بلادي.. لا بل حرمونا من حقنا في الاقتراع تماما وكلينا!!

فأي بلد هذا اكون له انا مواطنة؟؟؟؟

انا اريد التخلي عن الجنسية العراقية !

اريد ان اصبح مواطنة كورية..اختر الوطن الذي اشعر فيه بانسانيتي فالعراق افقطني انسانيتي كأمرأة ومواطنة..

\* أسرة التحرير ترحب بأي مداخلة

Saaleq21@gmail.com

## العراق بين حكم السنة "التتار" والشيعة "المغول" .. نفس العضة ونفس الدكتور



زكي رضا

ان استخدامنا لمصطلح "التتار والمغول" لا علاقة له بالطائفة والقومية ولا بالبعد التاريخي، بل بالسلوك السياسي الذي تدار به البلاد، حيث يتحكم الابناء والاصهار والاقرباء بمؤسسات الدولة، على حساب الكفاءة ودولة المواطنة.

هناك فرق كبير في النظام السياسي وشكل السلطة بين عهدي البعث والمحاصصة، لكن بعض آليات إنتاج السلطة التي انتقدتها المعارضة في عهد البعث عادت بأشكال جديدة بعد ٢٠٠٣. والان هل يحق للقوى المهيمنة على مفاتيح السلطة في بغداد والاقليم، ان تنتقد البعث وصدام حسين، على منح اولاده واشقائه واصهاره المناصب السيادية والامنية والعسكرية بالبلاد؟ وهل هناك فرق بين قرية العوجة بتكريت وقرية المومنة في طويريج بكربلاء من جهة، وبين تكريت واربيل والسليمانية وغيرها من المدن ومنها "مقدسة" من جهة ثانية؟ وهل هناك فرق بين رعونة البعث بالأمس ورعونة الاسلاميين وقوى المحاصصة اليوم، وتلاعبهم بمصير البلاد وقوت الناس.

إن تعقيدات المشهد السياسي اليوم تشير الى أن الازمة، هي ازمة نهج وسلوك وليست أزمة أشخاص أو شعارات أو أيديولوجيات. فالسلوك الإداري الذي يقوم على المحسوبية ومنح الأصهار والأقارب مناصب رفيعة ومؤثرة في الدولة على حساب الكفاءة ظل مستمرا من عهد البعث لليوم. وهذا يعني ان الفرق بين العهدين البعثي والمحاصصاتي كان في تغيير الوجوه بين تتار ومغول ليس الا، لان القوى السياسية "العراقية" تبادلت ادوارها، مستبحة الدولة بمؤسساتها على انها غنيمة، كما فعل البعث. قد تتغير الوجوه وتبديل الأحزاب وتتغير الشعارات، وقد تنتقل مراكز النفوذ من العوجة وتكريت إلى بغداد أو طويريج أو أربيل أو السليمانية أو إلى مدن غيرها، لكن السؤال الأهم هو، هل تغير أسلوب ادارة الدولة، وهل تغير سلوك من يمسك بتلابيبها، وإلى متى؟

بين جرائم تتار الامس من البعثيين ومغول اليوم من اقطاب المحاصصة، يبقى حال العراق وكما قال الفنان العراقي الراحل سليم البصري "حجي راضي" في مسلسل تحت موس الحلاق "نفس العضة ونفس الدكتور".

\* نظام المحاصصة ما بعد 2003 يتجاوز كونه "صراعاً طائفيًا" بحثاً: بعد سقوط النظام السابق أعيد بناء النظام السياسي على أساس تقاسم السلطة والمكونات (شيعة، سنة، أكراد)، مما أدى إلى تثبيت الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية الموحدة.

أخذت مكان العوجة وتكريت، في هيمنتها على مراكز اتخاذ القرار والهيمنة على المناصب الامنية والعسكرية والسيادية والاقتصادية؟

ان الممارسات التي كانت تعاب على البعث، اعادتها الاحزاب الشيوعية والكردية بممارسات لا تختلف عن ممارسات البعث، بل اسوأ منها في بعض المجالات. فها هو نوري المالكي الذي عمل على تمرکز السلطة بيد حزب الدعوة بداية، نراه وهو رئيس الوزراء وبعدها رئيساً للبلاد التسقيعي الشيعي، يمنح اصهاره (مثل ياسر صخيل المالكي أو حسين أحمد المالكي المعروف بابو رحاب) مراكز عليا في الهياكل الأمنية والسياسية ومكتب رئيس الوزراء حينما كان رئيساً لها من خلف الكواليس بداية، دون امتلاك خلفيات عسكرية أكاديمية تؤهلهم لذلك، وليتوج هذا التوجه بترشيحه لصهره ياسر صخيل وهو شرطي سابق وزيراً للداخلية! اما مركز ابنه احمد ودوره في الحياة السياسية والاقتصادية والامنية، يبقى سرا من اسرار الدولة العميقة الذي سينكشف امام الرأي العام مستقبلاً. والامر لا يتعلق بالمالكي وحده، فهناك قيادات شيعية ورجال دين شيعية، جعلوا من اخوتهم واصهارهم واقربائهم ضمن دائرة ضيقة، تتحكم بمصير البلاد وعشرات الملايين من العراقيين.

اما كردياً، فاننا نرى عائلة البارزاني تتحكم بأربيل، فمسعود البارزاني ترك رئاسة الاقليم بعد سنوات الى خليفته نيجرفان بالوراثه، بينما يتولى افراد من العائلة البارزانية، المناصب الامنية الحساسة في الاقليم كجهاز مكافحة الارهاب المعروف بالبارستان. ولا يقتصر دور العائلة على الملفين الامني والعسكري، بل الى الملف الاقتصادي بما فيه ملف النفط. ولم تكن السليمانية بعيدة عن أربيل، فقيادة المدينة وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني، انتقلا بعد رحيل جلال الطالباني الى نجليه بافل وقوباد طالباني بالوراثه ايضا، مع منح المراكز الحساسة لابناء عمومهم.

سنبأ نرى الامر لا يختلف عن عقلية وممارسات شركائهم في السلطة، فمحمد الحلبوسي له ذراع في الهيمنة على محافظة الانبار عن طريق شقيقه شجاع الحلبوسي، كما ادار الاخوين النجيفي محافظة الموصل بعقلية النفوذ العائلي "ومفیش حد احسن من حد كما يقول المصريون"، ويبقى الخنجر هو الآخر جزء من هذا الاحتكار العائلي للسلطة.

بعد انهيار تجربة البعث الاولى في الحكم في 18 تشرين الثاني 1963، عادوا مستفيدين منها في تجربتهم الثانية في تموز 1968، بإحتكار مراكز القرار الى المناطقية، فكانت المراكز العسكرية والامنية خصوصاً والسياسية لحدود بعيدة، حكراً على مدن وبلدات المنطقة الغربية والموصل. وانحسر هذا الاحتكار بعد سنوات الى احتكار تكريت وقرية العوجة للمراكز الأكثر أهمية وتأثيراً في الدولة، وكان من مميزات هذه الفترة، هو تبوأ شخصيات مغمورة وغير كفوءة لشغل مراكز أمنية وعسكرية وسياسية غاية في الاهمية. ومع هيمنة صدام حسين للسلطة بازاحة البكر سنة 1979، تحولت السلطة الى سلطة عائلية شديدة المركزية، ليتم منح المناصب العسكرية والامنية الحساسة لعناصر من الدائرة الضيقة للنظام.

الفترة ما بين الاعوام 1979 - 2003، شهدت مركزية شديدة للسلطة بصعود نجلي الدكتور صدام حسين والاقارب والاصهار. فكان لعدى علاوة على مناصبه العديدة، منصب قائد ميليشيا "فدائيي صدام"، اما قصي المرشح كخلف لوالده وقتها، فكان الى جانب مناصبه العديدة قائدا للحرس الجمهوري والحرس الخاص. ولتتحكم النظام اكثر بمفاتيح السلطة ومركزيتها، قام صدام حسين بتعيين اصهاره حسين كامل وصدام كامل وجمال مصطفى، واخوته غير الاشقاء (وطبان وبرزان وسبعاوي)، في اعلى المناصب الامنية والسيادية، على الرغم من عدم كفاءتهم، ولا امتلاكهم لتاريخ عسكري او امني او سياسي.

نتيجة لهذه المركزية في السلطة عند البعث وما نتج عنها من جرائم بحق شعبنا وبلدنا، وجهت المعارضة العراقية الشيعية والكردية وقوى وطنية غيرهما، انتقادات لاذعة للسلطة وطبيعتها المناطقية والعشائرية والعائلية، فهل تجاوزت هذه القوى ونعني بها الشيعية والكردية تحديداً، هذه المركزية في السلطة التي انتقدتها وهي في المعارضة؟ وهل هناك مـدن شيعية وكردية

## العراق أزمت داخلية... و ثروات هائلة وأسئلة مؤجلة



مناضل التميمي

ثمة لحظة في عمر الدول يصبح فيها تبرير الإخفاق أكثر كلفة من الاعتراف به، والعراق بعد سنوات طويلة من الأزمات، لم يعد بحاجة إلى مزيد من التشخيص، بقدر حاجته إلى إرادة سياسية قادرة على تحويل الإمكانيات إلى إنجازات، وإلى رؤية واضحة تضع مصلحة المواطن فوق الحسابات الضيقة، لهذا لم تعد التدخلات الخارجية اكتشافاً جديداً، ولا الفساد مفاجأة، ولا سوء الإدارة حادثاً عابراً، وإذا كانت أسباب التعثر معروفة منذ سنوات، فلماذا بقيت النتائج على حالها؟ ولماذا تتكرر الأخطاء نفسها من دون مراجعة جادة أو محاسبة حقيقية؟

السيادة ليست بياناً سياسياً ولا خطاباً للاستهلاك الإعلامي، إنها قرار وطني مستق، وقانون يُطبق على الجميع، ومال عام مصان من الهدر، ومؤسسات تُدار بالكفاءة لا بالولاء، أما أن نطالب العالم باحترام سيادتنا، ونعجز عن فرض القانون داخل مؤسساتنا، فهذه مفارقة تستحق أكثر من التصفيق، وتحتاج إلى مراجعة صريحة لا إلى شعارات جديدة، وبما يملكه العراق من ثروات وإمكانات، كان يفترض أن تكون حصيلة سنواته أكثر سخاءً مع مواطنيه، لكن الحكومات تتغير، والوجوه تتبدل، والشعارات تتجدد، فيما يكتشف المواطن أن المشكلة القديمة ما زالت ترتدي ثوباً جديداً، وأن الوعود لا تزال أطول من قوائم الإنجاز ..

وفي السياسة العراقية، تبدو المسؤولية ككرة يتقاذفها السابق واللاحق، الجميع يملك تفسيراً للفشل، لكن قلما نجد من يقدم حساباً واضحاً عن نتائجه، أما المواطن، فيبقى الطرف الوحيد الذي يدفع الفاتورة كاملة، من تراجع الخدمات إلى ضيق فرص العمل وارتفاع كلفة الحياة .

## لو تم القضاء على الفساد لفشلت العملية السياسية في العراق

قالها العبادي - بصورة واضحة- أيام كان رئيساً للوزراء... فليذكر العبادي، ومن جاء من بعده لاستلام الحكم، وينقض أمره دون ثمة معالجة للأزمات المالية، ببساطة كان ذلك على نحو التالي.

- ١ إلغاء مجالس المحافظات
- ٢ إلغاء رواتب البرلمان السابقين
- ٣ إلغاء رواتب الوزراء السابقين
- ٤ إلغاء رواتب رفقاء
- ٥ إلغاء تقاعد أعضاء الجمعية العمومية
- ٦ تقليص عدد النواب وحراستهم
- ٧ تقليص رواتب الوزراء
- ٨ تقليص رواتب أعضاء مجلس نواب
- ٩ تقليص حراسات المسؤولين
- ١٠ تقليص عجلات الدرجات الخاصة
- ١١ إلغاء المستشارين
- ١٢ دمج الجامعات المستحدثة لقلة الطلبة لمنع هدر المال العام.. وتشكيل لجنة تعمل على جرد عدد الطلبة
- ١٣ إلغاء الدوائر غير فاعلة
- ١٤ تفعيل القطاع الخاص
- ١٥ تفعيل سلم رواتب
- ١٦ تفعيل تقاعد عمر ٤٥
- ١٧ الحد من بيع الدولار والحفاظ على قيمة الدينار العراقي وتداوله بدولار بالصفريات.

لا أحد يطالب بحلول سحرية، ولا ينكر تعقيدات الواقع الداخلي والخارجي، لكن ثمة فرقاً بين صعوبات تفرضها الظروف، وأخرى تنتجها الإدارة المرتبكة، وبين عجز مؤقت يتحول إلى نهج دائم، كما أن الاعتراف بالمشكلة لا يكفي ما لم يتبعه برنامج عملي، بجدول زمني واضح، ومؤشرات يمكن للناس قياسها ومحاسبة المسؤولين عليها ..

إن إحترام الشعب لا يكون بكثرة الحديث عنه، بل بحماية ثرواته، وتحسين خدماته، وضمان تكافؤ الفرص أمام أبنائه، ومحاسبة من يسيء استخدام السلطة، أما مطالبة المواطن بالصبر في كل مرة، فهي ليست سياسة، بل تأجيل مستمر لإستحقاقات لا تسقط بالتقادم، فالصبر حين لا يرافقه إصلاح يتحول إلى عبء إضافي على الناس، ويعمق الفجوة بين الدولة ومواطنيها.



لقد سمع العراقيون ما يكفي من الكلام عن المستقبل، وحين الوقت لأن تنتقل السلطة من شرح أسباب الإخفاق إلى معالجة نتائجه، فالدولة لا تُقاس بما تقوله عن نفسها، بل بما تحققه لمواطنيها، وبقدرتها على جعل القانون أقوى من النفوذ، والمصلحة العامة أعلى من الحسابات السياسية، وهذا يتطلب مؤسسات رقابية مستقلة، وإدارة شفافة للمال العام، وقراراً لا يتردد في مواجهة شبكات المصالح مهما كانت مواقعها،

فالأوطان لا تنهض بتدوير الأزمات، بل بشجاعة مواجهتها، ولا تستعيد ثقة شعوبها بكثرة الوعود، بل بإنجازات تجعل الانتظار أقل، والأمل أكثر واقعية، والعراق بما يملكه من تاريخ وطاقت بشرية و ثروات، يستحق دولة تفتح أبواب المستقبل بالفعل، لا بمجرد الحديث عنه ..

### الرئاسات الثلاثة 9 الاف موظف

راتبهم بالشهر 8 ترليون  
في حين ال 5 مليون موظف  
راتبهم 2 ترليون فقط

\* غازي عجيل الياور على سبيل المثال حكم العراق رئيس مؤقت لمدة 7 أشهر بس. يأخذ راتب تقاعد شهري 63 مليون دينار عراقي بالشهر، يعني يطلع أكثر من ٧٤٤ مليون دينار بالسنة!!

وزوجته، نسرين برواري، اللي صارت وزيرة للبلديات من سنة ٢٠٠٤ لحد ٢٠٠٦، يعني تقريباً سنتين. عايشين سوا في بريطانيا وبنعيم وعيشه كلش زينة وترفة.

ذلك ينطبق على أغلبية المسؤولين الذين عملوا في مؤسسات الدولة العراقية منذ 2003

## في السيكلوجية الاجتماعية والسياسية لعسكرة المجتمع.. وضرورة نزع السلاح والآفاق الممكنة

(1)



د. عامر صالح

يعود السعي لنزع سلاح الفصائل المسلحة في العراق "حصر السلاح بيد الدولة" إلى مزيج من الأسباب السياسية والأمنية والاقتصادية والدولية:

1 - تعزيز سيادة الدولة والاستقرار الأمني احتكار القوة: تسعى الدولة العراقية لتطبيق مبدأ "احتكار العنف المشروع وقرار الحرب والسلم"، حيث لا يجوز لأي كيان غير المؤسسات الأمنية الرسمية (الجيش والشرطة) امتلاك أسلحة ثقيلة أو متوسطة.

2 - منع الصراعات الداخلية: وجود أجنحة مسلحة خارج إطار القيادة العامة للقوات المسلحة يرفع خطر الصدامات المسلحة والاحتلال الداخلي أثناء الأزمات السياسية أو الانتخابات وخاصة وقد استخدم السلاح في أكثر من مناسبة لقمع الاحتجاجات والتظاهرات المطالبة كما حصل لانتفاضة تشرين في العام 2019 والتي راح ضحيتها آلاف الشهداء والجرحى.

3 - الضغوط والمطالب الدولية والإقليمية ضغوط دول أوروبا والمجتمع الدولي: تشترط دول العالم الديمقراطي والمجتمع الدولي إبعاد الفصائل المسلحة عن التأثير السياسي والتنفيذي، مع تهديدات بفرض عقوبات اقتصادية أو القيام بضربات عسكرية ضد الجماعات الرافضة .

4 - تجنب العراق الصراعات الإقليمية: تجنب تحويل الأراضي العراقية إلى ساحة لتصفية الحسابات أو استهداف المصالح الأجنبية ودول الجوار، مما يعرض أمن البلاد للخطر .

5 - المتطلبات الاقتصادية والاستثمارية جذب الاستثمارات: يتطلب إنعاش الاقتصاد العراقي بيئة أمنية مستقرة لتشجيع الشركات الأجنبية والمحلية على الاستثمار .

6 - تجنب العقوبات: تخشى بغداد فرض عقوبات على مؤسساتها المالية والمحرك الاقتصادي الرئيسي (النفط) في حال عدم السيطرة على الفصائل الخارجة عن القانون .

7 - التحول نحو العمل السياسي وتلبية المطالب الشعبية:

تتمة ص التالية

ويجعل الخصم السياسي أو الاجتماعي قابلاً للتحويل في المخيال الجمعي من منافس إلى تهديد وجودي.

أما بالنسبة لعسكرة المجتمع في العراق فهي تعني نفوذ الهياكل والمظاهر العسكرية الشديد على الحياة المدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وهي ظاهرة ممتدة عبر عقود وتمتد بمراحل تاريخية مختلفة:

حقبة النظام السابق (1968 - 2003): ترسيخ عسكرة الدولة والمجتمع بشكل نظامي وصارم، لاسيما أثناء الحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج، من خلال فرض التجنيد الإجباري والتنظيمات الشعبية المسلحة (مثل الجيش الشعبي وفدائيو صدام) وغرس الثقافة العسكرية في المناهج والأنشطة اليومية.

مرحلة ما بعد 2003 وحل الجيش: أدى حل الأجهزة الأمنية السابقة وانهيار المؤسسة العسكرية المركزية إلى فراغ أمني أتاح ظهور الميليشيات والأجنحة المسلحة للأحزاب، مما حوّل العسكرة من طابع الدولة المركزية إلى طابع فصائلي ومناطقية.

مرحلة الحرب ضد "داعش" (2014 - 2017): ساهمت سيطرة التنظيم وانتشار الجماعات المسلحة وتشكيل "الحشد الشعبي" في تعزيز الانخراط المجتمعي الواسع في العمل المسلح لحماية المدن، مما جعل مظاهر التسلح وحمل السلاح جزءاً مألوفاً في الحياة اليومية.

أما أبرز أشكال وتأثيرات العسكرة:

1 - شيوع الثقافة والسلاح: انتشار السلاح المنفلت خارج إطار الدولة، واعتماد مظاهر الحماية والتسلح كجزء من الحياة الاجتماعية والعشائرية.

2 - الهيمنة السياسية والاقتصادية: تداخل السلاح بالسياسة عبر الأجنحة المسلحة للأحزاب، مع تزايد النفوذ الاقتصادي لبعض الفصائل والجماعات المسلحة.

3 - التأثير الاجتماعي والنفسي: ترسيخ ثقافة العنف وحل النزاعات بالقوة البديلة عن سيادة القانون، وتأثير الأجيال الناشئة بالمظاهر والسلوكيات العسكرية.

يمكن تناول عسكرة المجتمع وضرورة نزع السلاح من منظور علم النفس الاجتماعي والسياسي باعتبارهما ليسا مجرد قضية أمنية، بل قضية تتعلق بتكوين الإنسان، والثقافة السياسية، وعلاقة الفرد بالدولة.

1 - سيكلوجيا عسكرة المجتمع: العسكرة لا تعني فقط انتشار السلاح، وإنما تعني أن تصبح لغة القوة والعنف والتهديد جزءاً من الثقافة اليومية ومن طريقة حل الخلافات. ومع استمرارها تحدث تحولات نفسية واجتماعية مهمة: تطبيع العنف

عندما يصبح السلاح حاضراً بصورة دائمة، يفقد المجتمع حساسيته تجاه استخدام القوة، ويصبح العنف وسيلة تبدو طبيعية لحل النزاعات.

2 - سيكلوجيا الخوف انتشار السلاح يولد شعوراً دائماً بعدم الأمان؛ فيبدأ الفرد بالتفكير بمنطق: إذا كان الآخر مسلحاً، فيجب أن أكون مسلحاً أيضاً. وهكذا تتشكل دائرة نفسية يصعب كسرها.

3 - تآكل الثقة بالدولة عندما توجد قوى مسلحة خارج الاحتكار المؤسسي للدولة، قد يتولد اعتقاد بأن الدولة غير قادرة على حماية الفرد، فيبحث الفرد عن الحماية في الجماعة أو الحزب أو العشيرة أو الفصيل.

4 - تحول القوة إلى مصدر للهوية في المجتمعات شديدة العسكرة قد يصبح امتلاك السلاح رمزاً للرجولة والمكانة والنفوذ والقدرة على فرض الإرادة، وليس مجرد وسيلة دفاع.

5 - الاستقطاب النفسي السلاح يقوّي الانقسام بين «نحن» و«هم»،



الانتقال للمسار السياسي: تحاول العديد من القوى السياسية الناشطة ضمن هذه الفصائل التحول إلى أحزاب مدنية برلمانية لشرعنة وجودها، وسواء كان ذلك تكتيكا مؤقتا أم رؤية استراتيجية فإنه يعبر عن ضغوطات الواقع للتخلي عن السلاح .

المطالب الشعبية: تشكل هذه الخطوة استجابة لمطالبات الحراك الشعبي والمكونات المجتمعية العراقية بإنهاء مظاهر السلاح المنفلت وتعزيز سيادة القانون .

صعوبات حصر السلاح بيد الدولة في العراق إن حصر السلاح بيد الدولة ليس مجرد قضية أمنية أو إدارية، بل هو في جوهره اختبار لطبيعة الدولة العراقية نفسها: هل تستطيع الدولة أن تكون المرجعية الوحيدة للقوة، أم تبقى السلطة موزعة بين الحكومة وقوى مسلحة وسياسية متعددة؟

وتزداد أهمية الموضوع اليوم مع استمرار الحوار الحكومي مع الفصائل ووجود فصائل قبلت مسارات تنظيمية أو تسليم السلاح، مقابل استمرار قوى أخرى في رفض التخلي عن ما تسميه «سلاح المقاومة». أما أبرز الصعوبات في حصر السلاح بيد الدولة هي:

1. التداخل بين الدولة والفصائل المسلحة أكبر الصعوبات هي أن العلاقة ليست بسيطة بين الدولة والسلاح خارج الدولة. فبعض القوى المسلحة أصبحت مرتبطة، بدرجات مختلفة، بمؤسسات رسمية، بينما احتفظت في الوقت نفسه بهياكل تنظيمية وولاءات سياسية خاصة.

وهنا تظهر المشكلة الأساسية: كيف تستطيع الدولة أن تحصر السلاح بيدها، عندما يكون جزء من القوة المسلحة موجوداً داخل النظام السياسي نفسه؟ هذا التداخل بين المؤسسات الرسمية والتنظيمات المسلحة يجعل عملية الفصل بين السلاح الرسمي والسلاح الحزبي أو الفصائلي معقدة للغاية.

2. القوة السياسية للفصائل بعض الجماعات المسلحة ليست مجرد تشكيلات عسكرية، بل تمتلك أحزاباً سياسية. تمثيلاً برلمانياً. نفوذاً داخل مؤسسات الدولة. موارد اقتصادية. شبكات اجتماعية وجماعية. لذلك فإن نزع السلاح قد يعني بالنسبة إليها خسارة جزء من قوتها السياسية. فالسلاح في هذه الحالة لا يؤدي وظيفة

عسكرية فقط، بل يصبح: مصدر نفوذ سياسي ووسيلة حماية وكذلك أداة تفاوض. ولهذا فإن التخلي عنه ليس قراراً تقنياً بسيطاً.

3. الانقسام داخل السلطة الحاكمة الدولة العراقية ليست كتلة سياسية واحدة متماسكة. ففي كثير من الأحيان توجد قوى داخل الحكومة أو البرلمان لها علاقات أو تحالفات مع القوى المسلحة. وهذا يخلق تناقضاً واضحاً: الحكومة تريد حصر السلاح نظرياً، لكن بعض القوى المشاركة في النظام السياسي لا تريد خسارة مصادر قوتها. لذلك تصبح المشكلة ليست في إصدار قرار، بل في: من يمتلك الإرادة السياسية لتنفيذ القرار؟

4. البعد الإيراني والإقليمي لا يمكن فصل قضية السلاح في العراق عن الصراع الإقليمي، فبعض الفصائل ترى نفسها جزءاً من مشروع إقليمي أوسع، وترتبط مصالحها وهويتها السياسية بفكرة «المقاومة». ولذلك فإن قرار التخلي عن السلاح لا يُنظر إليه دائماً باعتباره قراراً عراقياً داخلياً فقط. كما أن التوتر بين الولايات المتحدة وإيران يجعل العراق ساحة تقاطع فيها مصالح القوى الكبرى والإقليمية، الأمر الذي يزيد صعوبة بناء قرار أمني عراقي مستقل بالكامل.

5. الخوف من المواجهة الداخلية تواجه الحكومة معضلة خطيرة: هل تستخدم القوة لنزع السلاح؟ إذا استخدمت الدولة القوة، فقد يؤدي ذلك إلى: صدام مسلح. اضطرابات أمنية. انقسام سياسي وطائفي. احتمال توسع العنف داخل المدن. ولهذا تميل الحكومة إلى الحوار والاحتواء والتدرج بدلاً من المواجهة العسكرية المباشرة. وهذا ما أكدت عليه التصريحات الحكومية الأخيرة بشأن عدم الرغبة في التصادم العسكري مع الفصائل. لكن المشكلة أن الحوار الطويل قد يتحول أحياناً إلى تأجيل للمشكلة بدل حلها.

6. ضعف الثقة بالدولة هذه ربما من أخطر المشكلات النفسية والسياسية. بعض الجماعات والمجتمعات لا تثق بشكل كامل بقدرة الدولة على حمايتها، بسبب تاريخ طويل من: الحروب. الانقلابات. الإرهاب. انهيار المؤسسات. الصراعات الطائفية. ومن هنا تظهر عقلية تقول: «نحتفظ بالسلاح لأننا لا نثق بأن الدولة ستستطيع حمايتنا». وهذه العقلية تجعل السلاح رمزاً للأمان، وليس مجرد أداة عسكرية.

7. اقتصاد السلاح السلاح يرتبط أحياناً بشبكات اقتصادية واسعة، مثل: السيطرة على بعض الموارد. التهريب. المنافذ الحدودية. العقود الاقتصادية. شبكات التمويل. لذلك فإن حصر السلاح يعني أيضاً ضرب مصالح اقتصادية. وهنا تصبح المشكلة أكثر تعقيداً، لأن من يخسر السلاح قد يخسر معه مصادر نفوذ وثروة.

8. صعوبة معرفة حجم السلاح الحقيقي لا يتعلق الأمر فقط بالسلاح الثقيل أو المعروف، بل توجد أيضاً: أسلحة فردية منتشرة بين المواطنين. مخازن غير معلنة. أسلحة مرتبطة بفصائل متعددة. شبكات تهريب. أسلحة دخلت العراق خلال عقود من الحروب والصراعات. ولهذا فإن نجاح الدولة يتطلب أكثر من إعلان سياسي؛ يحتاج إلى إحصاء، تسجيل، رقابة، وقوانين وآليات تنفيذ حقيقية.

المشكلة الأعمق: أزمة احتكار الدولة للقوة في علم السياسة، الدولة الحديثة تُعرّف بأنها الجهة التي تمتلك الحق الحصري في استخدام القوة المنظمة. لكن المشكلة العراقية هي أن القوة، منذ عقود، لم تكن محتكرة بشكل كامل من مؤسسة الدولة. فقد أنتجت الحروب والانقلابات والاحتلال والإرهاب والطائفية ثقافة سياسية أصبح فيها السلاح جزءاً من المعادلة السياسية.

لذلك يمكن القول: إن حصر السلاح بيد الدولة ليس عملية جمع بنادق، بل عملية إعادة بناء الدولة.

من زاوية علم النفس السياسي يمكن فهم مقاومة حصر السلاح من خلال ثلاثة دوافع نفسية:

أولاً: الخوف الخوف من فقدان الحماية والنفوذ. ثانياً: الهوية بعض الجماعات تربط السلاح بهويتها وتاريخها وفكرة «المقاومة». ثالثاً: السلطة

السلاح يمنح صاحبه شعوراً بالقوة والتأثير، ولذلك يصبح التخلي عنه أشبه بالتخلي عن جزء من المكانة السياسية. وهنا تظهر المعادلة:

السلاح - القوة - النفوذ - الحماية - المصالح

ولهذا فإن كسر هذه السلسلة يحتاج إلى بناء بديل قوي هو: الدولة العادلة والقادرة والقانون المطبق على الجميع.

يتبع في العدد القادم

رأي وفكر

## « تقييم استراتيجي لهيكلية الأمن الخليجي » مسار نحو خليج أكثر استقراراً...

جيفري هون\*

ترجمة : صوت الصعاليك

### مدخل

يتناول "الحدث" لحظةً بعينها، بينما تخلق "العملية" استمرارية؛ فالحدث يدير عملية التكيف، في حين تبني العملية نظاماً مستقراً.

وفي سياق استكمال "عملية مسقط/عمان" المقترحة - والتي يجري تداولها دبلوماسياً منذ شهر يونيو عبر "مجموعة أصدقاء العملية"- صرّح وزير الخارجية العماني، السيد بدر البوسعيدي، في وقت لاحق من شهر يوليو بأن جميع الدول الثماني المطلة على الخليج (سلطنة عمان ودول مجلس التعاون الخليجي الخمس، بالإضافة إلى إيران والعراق) ينبغي أن تشارك في تصميم ترتيبات أمنية إقليمية جديدة. وقد جادل البوسعيدي بأن سنوات التعامل مع إيران عبر سياسة الاحتواء لم تثمر عن أي نتائج أمنية مستدامة.

كما حثّ البوسعيدي دول الخليج على إعادة تقييم وضبط علاقاتها مع حلفائها الأقوياء - بما في ذلك الولايات المتحدة- وتحمل مسؤولية أكبر عن أمنها الذاتي.

\*\*\*\*\*

لقد دخلت منطقة الخليج مرحلة استراتيجية جديدة

لقد أثبتت الأحداث الأخيرة القدرة الكبيرة لدول الخليج على حماية مجتمعاتها وبنيتها التحتية واقتصاداتها، كما أكدت مجدداً على أهمية شراكاتها الدولية. وفي الوقت نفسه، كشفت هذه الأحداث عن واقع أكثر تعقيداً؛ إذ إن الجاهزية العسكرية والعلاقات الأمنية الخارجية -على الرغم من أهميتها- لا يمكنها وحدها أن توفر حلاً مستداماً لحالة عدم اليقين السياسي التي تشهدها المنطقة.

ومن ثم، ثمة سؤال أوسع نطاقاً يستحق التأمل: كيف يمكن لدول الخليج أن تكتسب قدرة أكبر، لا تقتصر فقط على الاستجابة للأزمات، بل تمتد لتشمل تشكيل البيئة

الإقليمية التي تنشأ فيها تلك الأزمات؟

إن الإجابة لا تكمن بالضرورة في تشكيل تحالف جديد أو وضع ترتيبات أمنية أخرى مصممة من الخارج؛ بل قد تكمن في أمر أقل لفتاً للأنظار، ولكنه في نهاية المطاف أكثر ديمومة واستقراراً: ألا وهو عملية إقليمية مستمرة تتيح للدول -ذات المصالح ووجهات النظر الأمنية المتباينة- الحفاظ على الحوار، وبناء الثقة، وتحديد مجالات المصالح المشتركة تدريجياً.

### الحدث مقابل المسار

يمكن الفرق بين "الحدث" و"المسار" في التمييز بين (إدارة) التكيف و(بناء) نظام. وتُعد الدبلوماسية الدولية مثالاً غنياً بالدروس حول قيمة هذا النهج، وتحديدًا "مسار هلسنكي".

لم تكن أهمية ذلك المسار مقتصرة على الاتفاق الذي تم التوصل إليه عام 1975؛ بل تكمن أهميته المستمرة في إيجاد إطار يتيح للدول - التي تفصل بينها خلافات سياسية واستراتيجية عميقة- مواصلة اللقاء، ووضع المبادئ، وتطوير تدابير بناء الثقة، وتغيير طبيعة علاقاتها بمرور الوقت.

وبالطبع، تختلف ظروف منطقة الخليج اختلافاً كبيراً؛ إذ لا يمكن نقل أي نموذج تاريخي ببساطة من منطقة إلى أخرى. ومع ذلك، يظل المبدأ الجوهرى صالحاً للتطبيق: فمسار الحوار لا يستلزم بالضرورة انتظار التوصل إلى اتفاق بشأن الشكل النهائي للنظام الإقليمي.

بل إن العكس قد يكون صحيحاً في بعض الأحيان؛ ففي الحالات التي تبلغ فيها مستويات انعدام الثقة الاستراتيجية ذروتها، يمكن أن يكون التواصل المنتظم بالغ الأهمية. إذ يمكن لقنوات الاتصال أن تحد من سوء التقدير، ويمكن للتعاون العملي أن يرسخ عادات الثقة، كما أن الاتفاقات المتواضعة في مجالات الاهتمام المشترك قد تجعل أشكلاً أكثر طموحاً من التعاون أمراً ممكناً وقابلاً للتحقق تدريجياً.

ويمكن أن تشكل قضايا مثل السلامة البحرية، والتواصل أثناء الأزمات، وحماية البنية التحتية الحيوية، والتعاون الإنساني، والاستجابة للكوارث، والترابط الاقتصادي، نقاط انطلاق



محتملة؛ إذ لا يتطلب أي منها من الحكومات تسوية خلافاتها السياسية الجوهرية قبل الجلوس إلى طاولة واحدة.

كما أن نهجاً كهذا ينسجم تماماً مع العلاقات الأمنية التي أقامتها دول الخليج بالفعل.

ولا يوجد مبرر وجيه لاعتبار "الملكية الإقليمية" و"الشراكة الدولية" خيارين متناقضين؛ فستظل للولايات المتحدة وأوروبا وبريطانيا والصين وغيرها مصالح ومسؤوليات مهمة في منطقة الخليج. ومن شأن وجود إطار سياسي إقليمي أقوى أن يكمل تلك العلاقات بدلاً من منافستها. أما بالنسبة لدول الخليج نفسها، فقد تكون المسألة أكثر أهمية وتأثيراً.

فالنظام الإقليمي لا يمكن أن يكون مستداماً في نهاية المطاف إذا ظلت الأطراف الأكثر تأثراً به مجرد متلقٍ لقرارات تُتخذ في أماكن أخرى. ورغم أن دول المنطقة الصغيرة والمتوسطة قد لا تتمتع بنقل عسكري يضاهي القوى الكبرى، إلا أنها تمتلك أدوات أخرى لفن الحكم والدبلوماسية: كالقدرة على الدعوة للاجتماعات، وبناء المؤسسات، وإنشاء قنوات الاتصال، وجعل التعاون أمراً جذاباً للأطراف الأخرى. ولعل تجربة هلسنكي تظل الإرث الأهم للتفاوض مع دول تختلف في توجهاتها ورؤاها.

يُبرهن تاريخها على أن الممارسة الحصيفة لفن الحكم في التوقيت المناسب يمكن أن تخلق حيزاً استراتيجياً للقوى الصغرى والمتوسطة، وذلك من خلال إرساء إطار تلزم فيه القوى

\* وزير الدفاع البريطاني السابق و وزير النقل البريطاني السابق

\*\* المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا تعكس رأي أو موقف المعهد أو "صوت الصعاليك"

تتمة ص التالية

## تقييم استراتيجي لهيكلية الأمن الخليجي

والحوار، ولا بين الشراكات الدولية والفاعلية الإقليمية المستقلة؛ إذ من المرجح أن يتطلب النظام الإقليمي المستقر تضافر كل هذه العناصر وتكمن المهمة الأكثر صعوبة في الربط بين هذه العناصر. وهنا يمكن أن توفر "عملية إقليمية دائمة" -على غرار ما دعت إليه مجموعة "أصدقاء العملية" النشطة دبلوماسياً- رابطاً من هذا القبيل؛ شريطة أن تكون هذه العملية متجذرة في المنطقة ومستفيدة من خبرات من عملوا في أماكن أخرى على قضايا الأمن وبناء الثقة والتطوير المؤسسي.

لن تقدم هذه العملية وعوداً بحلول فورية، بل ستوفر ما هو أكثر واقعية: وسيلة تجعل التوصل إلى حلول مستقبلية أمراً ممكناً.

ولعل هذا هو جوهر أهمية مبادرة مسقط؛ فهي لا تهدف إلى فرض شكل محدد للنظام الأمني الخليجي، بل تسعى لتهيئة بيئة تتيح لدول الخليج -مع مرور الوقت- اتخاذ القرار بشأن ذلك بنفسها.

النهائي. وسيكون التوافق أهم من السرعة، والاستمرارية أهم من المظاهر الاحتفالية. كما لن تكون هناك حاجة لأن تحدد هذه العملية مسبقاً الهيكل الأمني المستقبلي لمنطقة الخليج.

قد يقتصر هدفها ببساطة على تهيئة الظروف التي تتيح لدول المنطقة قدرة متزايدة على صياغة ذلك الهيكل بأنفسها. إنه هدف متواضع، ولكنه ينطوي أيضاً على إمكانية إحداث أثر كبير.

بالنسبة لنا - نحن المنخرطين في مجالات الأمن الدولي والدبلوماسية- ثمة درس مألوف هنا؛ فالمؤسسات الراسخة نادراً ما تنتشأ نتيجة اكتشاف مفاجئ لاتفاق جميع المشاركين في الرأي، بل تنشأ لأن الحكومات تدرك أن استمرار الخلاف بحد ذاته يشكل سبباً لوضع قواعد وقنوات وأنماط سلوك تتيح إدارة هذا الخلاف.

ولعل منطقة الخليج تقترب الآن من لحظة كهذه. فالمهمة لا تكمن في الاختيار بين الردع

الكبرى بالتفاعل وفق قواعد ومؤسسات وحوار مستمر، بدلاً من الاقتصاد على الترتيبات الثنائية (المتقطعة).

### التحول نحو الخليج

تكتسب تجربة سلطنة عُمان أهمية خاصة في هذا الصدد. فمن خلال زيارتي المتعددة للسلطنة، ونظراً لشرف لقاء السلطان الراحل قابوس والعمل مع كبار المسؤولين العُمانيين، طالما نظرتُ بتقدير بالغ إلى التقاليد الدبلوماسية العُمانية؛ إذ نادراً ما اعتمد تأثيرها على ممارسة القوة، بل ارتكز بدلاً من ذلك على المصادقية والصبر والقدرة على الحفاظ على العلاقات رغم الانقسامات السياسية.

قد تبرز ظروف تكتسب فيها هذه السمات قيمة استراتيجية تفوق أي وقت مضى. ولن تكون هناك حاجة لأن تبدأ عملية إقليمية -تيسرها مسقط- بطموحات مؤسسية ضخمة؛ بل قد تكمن قوتها تحديداً في منح الدول المشاركة حرية تحديد وتيرة العملية ونطاقها وشكلها

## ثلاثون متراً من الخوف... بين الأرض والمجهول

مرايا

ال موج بقوة هائلة وعنفوان أعمى، كأن السيول قد تأخرت عن موعدٍ قديرٍ، وهي الآن تكرس كل طاقتها لتصل في الوقت المناسب، حتى لو كان ثمن ذلك ابتلاعنا. في تلك المساحة الضيقة، تلاشت الخيارات، وأصبح كل أرجاحة للجسر هي لحظة المصير التي تفصل بين الحياة والموت، حيث المشي فوق الحصيرة أشبه بالسير على حد شفرة، والأقدام ترتجف خوفاً من أن تخون صاحبها في الخطوة التالية.

وصلت إلى الضفة الأخرى، وأقلامي تلامس الأرض الصلبة، فشعرت أن الأصوات انكسرت فجأة، كأن سيمفونية الرعب توقفت عند هذه النقطة. هدير الماء ظل يتردد في الخلفية، لكنه لم يعد يملك السيطرة عليّ. كان الصمت بعد العبور أثقل من الضجيج، لكنه حمل معه معنى الانتصار على لحظة مرعبة، لحظة لا تُنسى.

ذلك الجسر لم يكن خشباً مهترئاً فحسب، بل مرآة علّقت خوفاً في الهواء، وأجبرت كل واحد منا أن يرى نفسه في ارتجافاته. في تلك اللحظة بدا الخوف كوحش يلوّح بمخالبه، ثم ينكمش ليصير طاقة تُمسك بها ونوجّهها. عبرنا الجسر، لكننا عبرنا أيضاً إلى مستوى آخر من الوعي، حيث تتحول الرهبة إلى قوة، والصوت إلى معنى، والخوف إلى انتصار داخلي.

اندفع النهر بجموح، أشبه بفرسان ينطلقون في مضمار السباق، يتسابقون بشراسة نحو الهدف، والزمن يلهث خلفهم ليحسم النصر ويزرع القلق في نفوس المراهنين وهم يترقبون لحظات النهاية. وكنا نحن نجرّ خطواتنا كأننا نطارِد ظلاً يبتسم على الضفة الأخرى، سراباً يستدرجنا إلى لعبة الخوف.

خطوْث خطوتي الأولى نحو الجسر، فاهتز الهيكل كله معلناً بدء طقس الرعب. لم يكن جسراً، بل حصيرة ضيقة تتأرجح كخيوط مشدود بين ضفتين، بلا درابزين ولا سياج. ومع كل وقع لقدمي، كان الجسر يتراجع يعنف تحت ثقلتي، كأنه كائن حي يتألم أو يتأمر ليفلطني.

كان الصرير المتقطع للخشب يتجاوب مع هدير الماء، فيتردد صدها في الوادي كصرخة مكتومة. خلفي، أصوات الأنصار تتعالى:

- ثَبَّتْ نَظْرُكَ لِلأَمَامِ!

- لا تفكر... واصل!

كانت كلماتهم كأجراس صغيرة تقطع عزلة الصوت الوحشي للنهر، تمنحني لحظة طمأنينة وسط العاصفة السمعية.

نظرتُ للأسفل، فبدت مياه النهر أسفل الحصيرة المهترئة كأنها في سباق محموم مع الزمن، يتدفق



كفاح الزهاوي

"ثلاثون متراً معلقة بين الأرض والمجهول"

في الأحلام قد ترتدي عباءة البطل أو قناع الجبان، لكن اليقظة لا تفتح سوى درب واحد، كأنه خط محفور على صخرة، يقودك إلى مصيرك دون التفات.

خطوة واحدة على الحصيرة الهزّازة تكفي لتذكرك أن الأحلام لا تملك درابزين، وأن النهر تحتك ليس ماءً فقط، بل مارد عطشان ينتظر أن يبتلع أول ارتجافة في قدميك.

ابتلع الصمت كل شيء، فلم يبق سوى هدير النهر يتردد كطبول خفية، يرسم لوحة مخيفة تخترق القلوب وتزرع في النفس إحباطاً وخوفاً، كأن الطبيعة نسجت مكيدة تجعل كل ارتجافة على الجسر مواجهة مع النفس قبل أن تكون مواجهة مع الماء.

## غزة تتضور جوعاً.. لتتوقف جرائم الإبادة الجماعية

### استمرار المظاهرات المؤيدة للشعب الفلسطيني وحقوقه

وكانت كيرستين فولتر، رئيسة حزب "اليسار" (Die Linke) قد صرحت على مستوى الولاية، أثناء الإعلان عن الاتفاق، بأنه لا مكان لمعاداة السامية في برلين، وأن حق إسرائيل في الوجود "غير قابل للتفاوض". وقد أعثر هذا الاتفاق شرطاً مسبقاً لبدء المحادثات الاستكشافية.

تحمل المظاهرة المقررة بعد ظهر يوم الأحد - دعماً لفلسطين واحتجاجاً على ممارسات الجيش الإسرائيلي في قطاع غزة - شعار "United4Palestine - No Peace on Stolen Land" (أي: متحدون من أجل فلسطين - لا سلام على أرض مسروقة). ومن المتوقع مشاركة 3000 شخص يعتزمون السير عبر الحي الحكومي وصولاً إلى ساحة "بوتسدام" في برلين.

#### الانتخابات الإسرائيلية؟

في جانب آخر من محيط ما يدور في فلسطين المحتلة: لا تبدو الانتخابات الإسرائيلية المقبلة تعبيراً عن رغبة في التغيير بقدر ما تعكس ترسيخاً إضافياً للزعمة القومية المتطرفة التي تصاعدت حدتها منذ السابع من أكتوبر 2023.

فمع دخول إسرائيل الشهر الأخير الذي يسبق انتخابات 27 أكتوبر، أطلق رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو تحذيراً مثيراً للقلق.

ففي 29 سبتمبر، صرح بأن أعداء إسرائيل يخططون لشن هجوم على البلاد قبل موعد التصويت. ودون تقديم أدلة، أشار سريعاً إلى استمرار العمليات التي تشنها القوات الإسرائيلية في قطاع غزة، حيث ذكر أنها قتلت أكثر من 100 "إرهابي" خلال الأسابيع الأخيرة.

يرى محللون أن الربط الذي أقامه نتنياهو - بين حرب الإبادة الجماعية على غزة التي اندلعت عقب هجمات 7 أكتوبر 2023 بقيادة حماس، والانتخابات المرتقبة، وأمن إسرائيل القومي - لم يكن وليد الصدفة.

ويشير هؤلاء المحللون إلى أن إصرار نتنياهو على أنه الوحيد القادر على حماية الإسرائيليين من التهديدات المتنوعة التي تتربص بهم عبر الحدود، يقع في صلب حملته الانتخابية الساعية لإعادة انتخابه؛ وذلك رغم أن إخفاقاته المزعومة - سواء خلال الهجوم الذي وقع قبل ثلاث سنوات أو في تأمين الإفراج السريع عن المحتجزين - قد منحت خصومه أوراقاً قوية لمهاجمته..

قطاع غزة يتضور جوعاً. لا توجد قطرة واحدة من حليب الثدي لـ 186 طفلاً يولدون كل يوم. 90% من أطفال غزة يتناولون وجبة واحدة أو أقل من وجبة واحدة في اليوم. لا يوجد تخدير ولا مستشفيات يمكن للأمهات الحوامل المستضعفات الولادة فيها لأن مستشفى الولادة قد دمر...



## "حرب إسرائيل على غزة" .. إلى أين تفضي؟ فلسطين... شهادة في وجه التعقيم الإعلامي

مجلس النواب لمقاطعة برلين التي جرت في 20 سبتمبر/أيلول.

وتكتسب هذه القضية حساسية خاصة، لا سيما في ظل المحادثات الاستكشافية الجارية بين أحزاب "اليسار" و"الخضر" والحزب الديمقراطي الاجتماعي (SPD)؛ وهي محادثات بدأت يوم الخميس 8 أكتوبر وتتواصل اليوم، وإن كانت لا تجري على مستوى قادة الأحزاب أو رؤساء الكتل البرلمانية.

ومن المقرر أن تمر المظاهرة عبر الحي الحكومي. وكانت أحزاب اليسار والخضر والحزب الديمقراطي الاجتماعي (SPD) قد عرضت يوم الخميس اتفاقاً بشأن التصدي لمعاداة السامية؛ وبموجب هذا الاتفاق، يواجه أعضاء الأحزاب والكتل البرلمانية الذين يخالفون المبادئ المقررة خطر الفصل من الحزب أو الكتلة، علماً بأن قرار الفصل يعود للكتلة البرلمانية المعنية.

### سياسية من حزب "اليسار" تشارك في مظاهرة داعمة لفلسطين في برلين

10 أكتوبر 2026 - dpa

دعت فانيسا إمد، السياسية في حزب "اليسار" (Die Linke) ببرلين، إلى المشاركة في مظاهرة مؤيدة لفلسطين. وكتبت إمد في منشور لها على إنستغرام: "التضامن ليس جريمة. الحرية لفلسطين. نلتقي في الشارع. الآن أكثر من أي وقت مضى". وجاء في المنشور أيضاً: "إلغاء فلسطين في برلين؟ لن يحدث ذلك معي!". وكانت صحيفة "تاكس شبيغل" قد أوردت الخبر في وقت سابق.

أثارت إمد جدلاً في مناسبات عدة بسبب مواقفها المنتقدة لإسرائيل؛ إذ يتهمها منتقدوها بعدم الإقرار بحق إسرائيل في الوجود. وكانت قد فازت بمقعدتها الانتخابي في دائرة "نويكولن" بشكل مباشر خلال انتخابات

آراء حرة..

## سفينة إمبراطورية في أزمة!!..



حسن خضر\*

ظهر دونالد ترامب في هذه اللحظة، بالذات. لم يظهر من خارج الطبقة السياسية وحسب، بل ظهر كعارض لها أيضاً.

وقد سبق وبذل عضويته من ديمقراطي إلى جمهوري، وبالعكس، أكثر من مرة قبل الترشح على قائمة الجمهوريين.

وكان على مدار عقود، سبقت دخوله معترك السياسة، شخصية عامة من الدرجة الثانية، قليل التعليم وكثير الكذب، لا يقيم وزناً لقاموس السياسة الأميركية، ويتبنى أفكاراً يخجل الساسة الأميركيون من الإفصاح عنها.

ويبدو أن هذه الصفات، بالذات، هي التي أضفت عليه نوعاً من «الصدقية» في عيون الشرائخ الأفقر والأقل تعليماً بين الناخبين الأميركيين.

للعالم الاقتصاد الأميركي ريتشارد وولف فرضية تسلط الضوء على صعود ترامب، ومفادها أن أصحاب المليارات، شريحة الأقل من 1 بالمائة من الأميركيين، الذين يملكون القسط الأكبر من الثروة، قد شعروا بعد الأزمة المالية العالمية، أن الإمبراطورية لم تعد آمنة ولا مضمونة.

وبناء عليه، اندفع هؤلاء لكسب ونهب أكبر قدر ممكن من المال، وتقليص الضرائب، والحد من قيود المعايير العامة والمواصفات الفيدرالية.

ولم يكن لأمر كهذا أن يتحقق دون الاستيلاء على النظام السياسي نفسه.

وبهذا المعنى انتقل ترامب من كونه «مزحة» ثقيلة في أوساط نيويورك الاقتصادية والسياسية، إلى ظاهرة سياسية.

أعتقد أننا لا نستطيع الاستغناء عن فرضية وولف. وهذا ما سيتضح في سياق الكلام عن السياسة الضريبية لترامب، والامتيازات التي حصل عليها أصحاب المليارات في زمن ولايته الأولى وما انقضى من الثانية حتى الآن.

وهذا ما سيتضح، أيضاً، في سياق الكلام عن مبدأ دونرو، الذي صاغه بخفة الكائن الذي لا يحتمل، كسياسة خارجية عنوانها الرئيس تركيز القوة الأميركية في النصف الغربي من الكرة الأرضية.

\* حسن خضر / كاتب فلسطيني

وبقدر ما يتعلّق الأمر بالأعراض الخارجية للأزمة فهي تتمحور حول معنى البقاء أو النزول عن قمة العالم (التي بدا الوصول إليها، والبقاء فيها لعقود طويلة، مضموناً بعد نهاية الحرب الباردة) والتنافس مع القوة الصينية الصاعدة، ومحاولة التأقلم مع عالم متعدد الأقطاب.

أبدى أستاذ العلوم السياسية، جوزف ناي، الذي اشتهر بنظرية القوة الناعمة (رحل عن دنيانا في العام الماضي) قدراً من التفاؤل في تحليله لقدرة أميركا على البقاء كقوة عظمى مهيمنة في القرن 21، استناداً إلى موهبة وكفاءة الأميركيين في التطوير والتجديد والاختراع، بينما لا يفعل الصينيون أكثر من «نسخ» وإعادة إنتاج اختراعات الآخرين.

وفي المقابل، حاول المؤرخ البريطاني بول كيندي في «صعود وسقوط القوى العظمى» (ترجم الكتاب إلى العربية منذ سنوات، ونال اهتماماً لا بأس به) وضع نظرية عامة، ومعايير يمكن الاعتماد عليها، في تشخيص وقياس الصعود والسقوط. تسقط الإمبراطورية، في نظره، إذا اتسعت رقعتها، وطالت خطوط مواصلاتها، ولم تعد قادرة على الإنفاق على مناطق النفوذ خارج حدودها.

والمفارقة، في هذا الشأن، أن الحرب الأميركية على إيران، والتي لم تتوقف بعد، تبدو وكأنها ورقة منزوعة من تشخيص كيندي لسقوط الإمبراطورية.

فقد ثبت حتى الآن أن أميركا لا تستطيع الدفاع عن قواعدها من ناحية، وتعاني من صعوبة توفير الذخائر والمعدات اللازمة للاستمرار في الحرب من ناحية ثانية.

على أي حال، أغوتنا المفارقة اللاذعة. وينبغي أن نلتفت بعض الأنفاس للتذكير بأن أزمة الإمبراطورية، بشقيها الداخلي والخارجي، وما أسفرت عنه من تداعيات اجتماعية وسياسية، هي التي خلقت الشرط الموضوعي لظهور دونالد ترامب.

فبعد صدمة 11 أيلول (سبتمبر) وحربين فاشلتين في أفغانستان والعراق، وما يوصف عادة بالتداعيات السلبية للعولمة (بدلاً من الكلام عن الأزمة وتداعياتها) سددت الطبقة السياسية الأميركية (بجناحيها الديمقراطي والجمهوري) فواتير الفشل من صديقتها ومكانتها.

تكلمنا، حتى الآن، عن الحرب واللصوصية كمكونين عضويين في صميم بنية الظاهرة الترامبية، وذهبنا إلى كونها مُنتجاً طبيعياً للدفينة الأميركية، التي أنجبته، ومكنتها من أسباب الحياة.

وقد حان الوقت لإلقاء نظرة على الإكراهات النبوية التي رفعت تاجراً للعقارات إلى مرتبة المُخلص في نظر ملايين الناخبين الأميركيين، وأوقعت أحد أحزابهم التاريخية (تأسس 1854) في قبضته.

يمكن التمثيل لهذا الأمر بطريقة مجازية. فالسفن تتخفف من الحمولة الزائدة، أو غير الضرورية، وكذلك الطائرات، في حالات الطوارئ.

وهذا يصدق، أيضاً، على إمبراطورية في حالة أزمة، وحتى على القوافل، والرحالة، في أدغال بعيدة. وأميركا إمبراطورية مأزومة. تحتل أزمة الإمبراطورية الأميركية مساحة واسعة في سجلات وتحليلات المتقنين والعاملين في الأكاديميا، استناداً إلى مناهج وعلوم مختلفة، كما يحضر الاعتراف بوجودها، مع تباين في التشخيص، وابتكار الحلول.

ثمة أعراض داخلية للأزمة منها الحجم الهائل للدين العام، الذي يزيد في الوقت الحاضر على 40 تريليون دولار.

لأمر كهذا تداعيات بالغة السوء، بطبيعة الحال، على برامج الإنفاق الحكومي، والضرائب، والموازنة العامة.

ولكل ما ذكرنا، فرادى ومجتمعة، تداعيات كارثية على التعليم والصحة والبنية التحتية.

بمعنى أكثر مباشرة: تهدد التداعيات الاجتماعية والسياسية مستقبل اتحاد الولايات، والنظامين الجمهوري والديمقراطي.

والصحيح أن ثمة تصدعات بادية للعيان في بنية النظامين، كما في بنية الاتحاد، خاصة بعد صعود ترامب.

رؤية أدبية

## رؤية للمقطوعة «مُجهَّد الخُطى» للقس جوزيف إيليا مقطوعة بثلاثة أبيات تأخذ الألباب



شاكِر السلمان

لا أقول ليّتها كانت طويلة لأنها تختصر قصيدة  
معلقة من الطوال  
رؤية الشاكِر للمقطوعة  
«مُجهَّد الخُطى» للقس جوزيف إيليا

توحي بتجربة إنسانية وروحية مكثفة، تتخذ  
من التعب الجسدي صورةً للتعَب الوجودي،  
ومن السير في الفضاء الفسيح رمزاً لرحلة  
الإنسان في الحياة، ثم تنتهي إلى التطلع نحو  
المسيح بوصفه أفقاً للخلاص والقوة والشفاء .  
ومن هنا لا يبدو العنوان وصفاً لحالة عابرة،  
بل عتبةً دلاليةً تختصر مسار النص كله:  
خطى تمضي، لكنها مثقلة؛ وإرادة تطلع إلى  
الانطلاق، لكن الجسد والوجع يشدانها إلى  
الأرض.

يفتتح الشاعر بقوله:

إنني مُجهَّد الخُطى كم أعاني  
في انطلاقي نحو الفضاء الفسيح

وفي هذا المطلع اعتراف مباشر لا يخفى  
وراء الرمز؛ فـ«إنني» تمنح العبارة قوة  
التوكيد، وكان المتكلم يريد تثبيت حقيقة  
معاناته قبل أن يصفها .

أما «مُجهَّد الخُطى» فليست مجرد دلالة على  
إرهاق المشي، إذ تنفتح «الخطى» على معنى  
أوسع، فتصبح كناية عن مسيرة الحياة نفسها .  
وهنا تتولد مفارقة جميلة بين «مجهَّد الخُطى»  
و«انطلاقي»؛ فالأولى تنتمي إلى الثقل  
والبطء، والثانية تنتمي إلى الحركة والتحرر،  
وكان الذات واقفة بين قوتين: قوة الوهن التي  
تشدها إلى الخلف، وقوة الرجاء التي تدفعها  
إلى الأمام.

ويزداد هذا التضاد وضوحاً في عبارة  
«الفضاء الفسيح»؛ فالفضاء بما يحمله من  
اتساع وانفتاح يقابل ضيق الذات المتعبة .

وفي ذلك ملح بلاغي تتشكل فيه الصورة من  
مقابلة معنوية بين ضيق المعاناة وسعة الأفق.

أبتغي قوَّة تُزِيلُ سَقامي  
ليبتني حاضرٌ أمامَ المسيح

فالفعل «أبتغي» يحمل معنى الإرادة والطلب  
والقصد، وهو نقطة التحول النفسية في النص.  
لقد كان الشاعر في البيتين السابقين يصف ما  
هو فيه، أما هنا فإنه يتطلع إلى ما يريد أن  
يكون عليه .

وتقابل «قوة» لفظة «مجهَّد»، كما تقابل  
«تزيل سقامي» مجموعة الألفاظ السابقة:  
«أعاني، متعباً، لاهئاً، المشتكي، العليل،  
الكسح» .

وبذلك تتحرك البنية الدلالية:

- من الضعف إلى القوة،
- ومن السقم إلى الشفاء،
- ومن الشكوى إلى الرجاء

وتبلغ التجربة الروحية ذروتها في: «ليبتني  
حاضرٌ أمامَ المسيح»

إذ يخرج التمني هنا من معناه البلاغي المجرد  
إلى مناجاة روحية .

فـ«ليبت» تكشف شدة التوق إلى حضور يبدد  
العله ويمنح الذات قوة جديدة. كما أن اختيار  
كلمة «أمام» له دلالة مكانية وروحية في أن  
واحد؛ فالمتكلم لا يطلب فكرة مجردة عن  
الخلاص، وإنما يتمنى الحضور والمواجهة  
والقرب .

وهكذا تصبح صورة المسيح في خاتمة النص  
مركز الرجاء الذي تتجه إليه الخطى المجهدة  
منذ بداية القصيدة.

### جماليات الصورة والبلاغة

تعتمد المقطوعة على بلاغة غير متكلفة، نابعة  
من صدق الحالة. وأبرز صورها استعارة  
الرحلة للحياة في «مجهَّد الخُطى»  
و«انطلاقي» و«أسير»، إذ تتحول التجربة  
الوجودية إلى مسير محسوس. كما تنشأ  
صورة مقابلة بين الخطى المجهدة والفضاء  
الفسيح، فتتكشف ثنائية القيد والانطلاق.

وتظهر الكناية في «مجهَّد الخُطى» بما  
تتجاوز به التعب الحركي إلى التعب النفسي  
والروحي، بينما يتجسد الألم عبر «أهي /  
آه» في صورة سمعية تجعل الأنين جزءاً من  
تشكيل المشهد .

فالشاعر لا يريد مجرد السير، بل يريد  
الانطلاق؛ ولا يطلب مكاناً محدوداً، بل  
«الفضاء الفسيح». ومن ثم يصبح الاتساع  
الخارجي تعبيراً عن توق داخلي إلى التحرر  
من قيود الألم.

ثم تتكاثف المعاناة في قوله:

منعباً لاهئاً أسيرٌ وأهي

أههُ المشتكي العليل الكسح  
وهنا ينتقل النص من الإخبار عن التعب إلى  
تمثيله حسياً وصوتياً .

فتوالي الحاليين «منعباً، لاهئاً» يجعل القارئ  
يرى هيئة المتكلم أثناء سيره، بينما يضيف  
الفعل «أسير» عنصر الاستمرار؛ فهو، على  
الرغم من التعب واللاهت، لا يتوقف .



وهذه من أجمل الدلالات المضمرّة في  
المقطوعة: أن المعاناة لم تُلغ الحركة، وأن  
الوهن لم يهزم الإرادة تماماً.

أما «وأهي / آه» فتقوم على تكرار اشتقائي  
وصوتي يجعل الألم مسموعاً، فلا نقرأ الآهة  
فحسب، بل نكاد نسمعها .

وفي اقتراح «المشتكي، العليل، الكسح»  
تراكم دلالي يصعد درجة الوجع؛ إذ تبدأ  
الصورة بالشكوى، ثم تنتقل إلى العلة، ثم تبلغ  
أقصى العجز في «الكسح». وهذه الألفاظ لا  
تعمل منفردة، وإنما تتضافر لتشكيل حقل  
دلالي للضعف والوهن والانكسار.

غير أن القصيدة لا تستسلم لهذا الحقل؛ إذ  
تنعطف في البيت الأخير من وصف الألم إلى  
طلب الخلاص:

تتمة ص التالية

## مقطوعة بثلاثة أبيات تأخذ الألباب

فتظهر القاف والتاء في «قوة» بما فيها من شدة وصلابة، وكان الصوت نفسه ينهض من رخاوة الشكوى إلى طلب القوة. ثم تلين النغمة مرة أخرى في: «ليتنى حاضر أمام المسيح»

حيث تمتد الياءات والألفات، ويعود صوت الحاء في القافية «الفسيح / الكسبح / المسيح» ليمنح خواتيم الأبيات نفساً هامساً موحداً.

وللقافية أثر بالغ في تشكيل المقطوعة؛ فالنتابع: الفسبح - الكسبح - المسيح

ليس مجرد اتفاق صوتي، بل يحمل تطوراً دلاليًا لافتاً: يبدأ بالفسيح، وهو أفق الانطلاق؛ ثم يهبط إلى الكسبح، وهو أقصى صورة للعجز؛ ثم يرتفع إلى المسيح، وهو في الرؤية التي يبينها النص غاية الرجاء والشفاء. وهكذا تتحول القافية نفسها إلى مسار دلالي:

فضاءً يُستهى → عجزٌ يُعاني → خلاصٌ يُرتجى.

### الرؤية الكلية

مُجهَّدُ الخُطى» مقطوعة قصيرة في مبنها، لكنها واضحة التدرج في تجربتها. إنها تصور إنساناً أنهكه الطريق من غير أن يفقد رغبته في مواصلة السير؛ ولذلك فإن جوهرها ليس اليأس، على الرغم من كثافة مفردات الألم، وإنما الرجاء الذي يولد من قلب المعاناة.

وأجمل ما فيها أن عنوانها «مُجهَّدُ الخُطى» لا يعني «متوقف الخُطى»؛ فالشاعر يقول: «أسير».

وهذه اللفظة الصغيرة تمثل بؤرة نفسية مهمة في النص: إنه متعب، لاهث، متألم، لكنه ما يزال سائرًا. ومن هذا السير تنفتح القصيدة على خاتمتها الروحية، فيغدو المسيح الوجهة التي تتجه إليها الخُطى حين تعجز القوة البشرية عن حمل صاحبها.

وهكذا تتأزر الصورة البلاغية وموسيقى الحروف والقافية في بناء تجربة تنتقل من أنين الجسد إلى رجاء الروح، ومن ثقل الطريق إلى أمل الوصول؛ حتى تصبح المقطوعة أشبه بصلاة شعرية قصيرة، تبدأ بأهة وتنتهي بـرجاء.

\* تعتبر جمالية الشعر نتاجاً للتفاعل العميق بين الصورة الشعرية والموسيقى، حيث يتحول الكلام إلى تجربة حسية ووجدانية تتجاوز المعنى المباشر.

أما «قوة تزيل سقامي» فتؤسس لصورة الشفاء التي تواجه صور الوهن السابقة وبذلك يقوم البناء البلاغي العام على انتقال واضح:

الإجهد ← المعاناة ← اللهاث ← الأنين ← السقم ← طلب القوة ← الرجاء بالخلاص.

وهذا التدرج هو الذي يمنح النص وحدته الشعرية؛ فالقصيدة لا تعرض صوراً متفرقة، وإنما تبني قوساً نفسياً وروحياً يبدأ من الأرض المثقلة بالخطى وينتهي إلى أفق الخلاص.

### موسيقى الحروف

تكتسب موسيقى النص أهميتها من توافق الأصوات مع الحالة النفسية. ففي المطلع:

«إبني مُجهَّدُ الخُطى كم أعاني»

يبرز تردد الميم والنون، وهما من الأصوات التي تمنح العبارة امتداداً أنيئياً، ولا سيما النون بما فيها من غنة. وتساعد المدود في «إنني» و«أعاني» على إطالة النَّفَس، فكان الصوت نفسه يحمل شيئاً من امتداد الشكوى.

وفي: «في انطلاقي نحو الفضاء الفسبح»

تتسع الأصوات والمدود مع اتساع الدلالة، ولا سيما الألف في «انطلاقي» و«الفضاء» والياء في «الفسبح»؛ فتمنح العبارة انفتاحاً صوتياً ملائماً لصورة الفضاء. كما أن الفاء المتكررة في «في، في، الفضاء، الفسبح» بصوتها الرخو المهموس تضيف خفة هوائية تتناسب مع معنى الاتساع والانطلاق.

أما: «متعباً لاهناً أسير وأهي»

فتبرز فيه الهاء في «لاهناً» و«أهي»، وهي من الأصوات المهموسة التي يخرج معها النفس بوضوح، ولذلك ينسجم حضورها بصورة لافتة مع اللهاث والأهة.

فالموسيقى هنا ليست زخرفاً، بل تحاكي الحالة التنفسية للمتعب؛ حتى يبدو خروج الهاء قريباً من زفير المتعب.

ويتأكد ذلك في: «أهه المشتكي العليل الكسبح» فالمد في «أهه» يطيل زمن الأنين، ثم تتتابع الياءات في «المشتكي، العليل، الكسبح» فتمنح الشطر امتداداً صوتياً حزيناً. كما أن تكرار اللام في «الليل» يحدث ليونة صوتية تناسب الانكسار أكثر مما تناسب القوة.

وفي البيت الأخير يحدث تحول موسيقي مواز للتحول النفسي: «أبتغي قوة تزيل سقامي»

## «في رأسي نافذة» رواية للكاتبة: فوز حمزة

### فوز حمزة

قريباً، تصدر مجموعتي القصصية السابعة «في رأسي نافذة»، التي تضم تسعاً وثلاثين قصة قصيرة، عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

خطوة جديدة أضيفها إلى مسيرتي الأدبية، وأترك فيها نافذة أخرى مفتوحة على عوالم الإنسان، وما تختزنه الذاكرة من أسئلة ومشاعر وحكايات.

كل الشكر والتقدير للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق على إتاحة هذه الفرصة، مع أمنيّاتي بأن تظل الثقافة والأدب حاضرين في المشهد العراقي، وأن يجد الأدباء ما يستحقونه من اهتمام ورعاية.

\*\* غلاف المجموعة هدية من صديقتي الفنانة المبدعة رقية صباح.

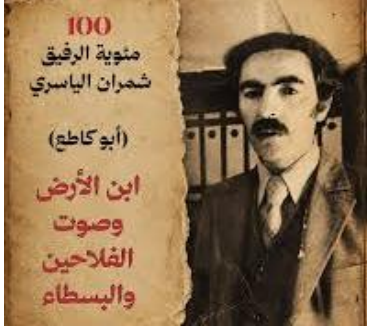


**فوز حمزة:** قاصة وروائية وكاتبة مسرحية عراقية، ولدت في بغداد ومقيمة حالياً في ألمانيا.

حاصلة على درجة البكالوريوس في الإخراج المسرحي من كلية الفنون الجميلة بجامعة بغداد. عضوة في اتحاد الأدباء والكتاب في العراق، وعضوة في نقابة الفنانين العراقيين. أصدرت العديد من المجموعات القصصية والنصوص الأدبية، منها مجموعتها القصصية الجديدة "ما لم يقله الصدى" (صدرت عام 2026)، ومجموعة "مذكرات امرأة في سلة المهملات".

حصلت على العديد من الجوائز، منها: الجائزة الأولى في القصة القصيرة من مهرجان همسة الدولي في القاهرة (2018 و 2021). الجائزة الأولى للقصة القصيرة من أكاديمية سفير القلم في هولندا (2022). الجائزة الأولى من ملتقى السرد الروائي (2024).

## « مئوية أبو غاطع.. شمران الياصري » السخرية في مواجهة غلاظ القلوب



د. عبد الحسين شعبان

كان «أبو غاطع» يُنقَّب بعين سوسولوجية، ويفحص بمهارة فنان نسيج البنى الداخلية للريف والعلاقات العشائرية والقبلية، مثلما كان يحلّل ويدقّق نظام تشكّلها الاجتماعي والتاريخي والثقافي. وكان بحكم هواجسه الأكثر قدرة على التقاط النذر والمؤشرات السلبية في عالم السياسة الموحش.

لقد عرّفنا سخرية «أبو غاطع» بمشاكل الفلاحين، وبخاصة فلاح الجنب، وبالقدر نفسه عرفنا حجم الألم والمرارة من خلال المواجهة لواقعه، ومرة أخرى وذلك عبر جوانب حيّة من حياة المجتمع وشخصياته إذ تمكّن «أبو غاطع» من ربط ذلك بهارموني دقيق التناسق، ولا سيّما بمنظومة الريف وفقاً لمعايير جمالية وصوراً واقعية مكتوبة بحسّ دراميّ يعكس الواقع بكلّ ما عليه وما له.

القصّون خلف الدواح لقد حاول أبو غاطع استخدام ما اصطُلح عليه الشخص الثالث «القصّون» في المقاهي البغدادية أيام زمان، أو ما يسمّى بالصوت الآخر أو «الفلتون» حسب استخدام سميرة الزبيدي، وكان صوته الآخر هو الذي يعترّ عما يريد أحياناً، لكنّه يجعل ذلك على مسؤولية المحدث، ومحدثه هو خلف الدواح، مبدعه الباطني ومحاوره ومنولوجه وملهمه.



إنّه شخصية أوهم «أبو غاطع» قارئه بأنّها وهميّة وغير موجودة، لكنّه في واقع الأمر كان شخصيّة واقعيّة موجودة، دماً ولحمًا كما يُقال، إنّه كعود الفرخان الذي نشرنا صورته لأول مرة في كتابنا على ضفاف السخرية الحزينة. ولعلّ بساطته كفلاح تصلح مدخلاً لتوظيفه من جانب «أبو غاطع»، ناسباً إليها الحكمة والمعرفة، والخزين الاجتماعي للحكايات والأمثال والأشعار والتجارب، فضلاً عن سرعة البديهة وطلاوة اللسان.

ويدرك فرمان أنّ التاريخ لا يكتبه المؤرّخون، بل إنّ من يكتبه هم الأدباء والفنّانون وأصحاب الفكر، وحسب مكسيم غوركي، ذلك هو التاريخ الحقيقي للإنسان، فما بالك إذا كان هذا التاريخ وفقاً لهيغل يعيد نفسه أحياناً، وقد يظهر على شكل مأساة وأخرى على ملهاة، ولعلّ الملهاة أو السخرية لا تعني الهزل أو الكوميديا، بقدر ما يترك الضحك من حزن وألم ينظر إليه مفكّر وفيلسوف مثل كارل ماركس على نحو شديد الجدّة، بقوله: «إنّي أقف ممّا هو مضحك موقفاً جاداً، وأظنّه هو ما كان يقصده الشاعر الكبير أبو الطيّب المتنبي حين قال:

وماذا بمصر من المضحكات... ولكنّه ضحكاً كالبكاء

بمكنني القول إنّ الرواية العراقية قبل «أبو غاطع» كانت تتحدّث عن الريف إلّا أنّها رواية مدينة، فرّواها أبناء مدن حتّى وإن كتبوا عن الريف. لكنّه مع «أبو غاطع» ظهر نوع من الأدب الريفيّ، لم يجعل ابن الريف وحده مصدرًا للسخرية والتندر والضحك، بل ابن المدينة أحياناً وأوهامه وأكاذيبه.

في أرياف الكوت وعلى نهر الغراف وفي قرية محيرة، ولّد ونشأ ذلك المتمرد، المشاغب، السابح ضدّ التيار. وخطا خطواته الأولى حتّى كرّس صورته المعروفة ومسيرته المتميّزة، وهو بصحبة راويته الأثيرية ذات المذاق الخاصّ خلف الدواح الذي سيظلّ ملازمًا له مثلما كنيته «أبو غاطع». وكان عند رحيله في أوج عطائه الفنّي وذرّة نضجه الفكريّ، وقد تمكّن من أدواته ووسيلته الإبداعية على نحو متميّز ولافت.

ومنذ أواخر الخمسينيات، تمكّن ذلك الريفي المصحب بالشكّ والمتعشّش إلى العدالة، والغارق في وهم الأيديولوجيا، أن يخوض في معترك الحياة بشجاعة: كدكاً وصحافة وثقافة وأدباً، حتّى غدا اسماً يُشار له بالبنان.

لقد رافق أبا غاطع في حياته الإبداعية شيان لا يستطيع الاستغناء أو التفريط بأحدهما:

**الأول**، صحبته مع خلف الدواح وهي المرحلة الثانية، إذ كان اسم كعود قد شغل المرحلة الفنيّة الأولى، وكعود أو خلف الدواح هو رفيق الحرف وصديق الكلمة؛

**الثاني**، السخرية؛ فقد كان الضحك ملازمًا له حتّى وإن كان يتفجّر حزناً، لأنّ ذلك واحد من رهناته ضدّ أعدائه التقليديين وضدّ خصومه البيروقراطيين، وعبر خلف الدواح والسخرية كان يجد التعبير المتميّز عن القرية، وحياة الريف العراقيّ من دون إسقاطات أو رغبات في الكتابة عن قوم يحاول التعاطف معهم؛ لأنهم يتعرّضون للظلم، وهي الصورة التي دائماً ما تتكرّر عندما يكتب أحد المبدعين عن الريف، ولكن في حالة «أبو غاطع» إنّه كتب من داخل الرّيف بكلّ تفاصيله وحيثيّاته بسليّاته وإيجابياته، بنقاط ضعفه ومصادر قوّته، بقبّحه وجماله.

ولم يكتب عن الريف من خارجه، كما كان يكتب بعض أدباء المدينة، مثلما هي رواية الأديب ذي النون أيّوب، الأرض والسيد والماء، التي سبقت الرباعيّة بعقدَيْن ونيف. ففي حين كان الأول أصيلاً في التعبير عن مشاعر الريف والفلاحين، كان الثاني دخيلاً لأنّه من خارج البيئة الاجتماعية الحسّنة المنظورة وذلك ما رصده الناقد مصطفى عبود.

إنك والحالة هذه لا يمكن أن تفصل بين «أبو غاطع» وبين السخرية، ففّن وأدب وعمود «أبو غاطع» الصحافي الذي انتشر شفيقاً خفيفاً كان لصيقاً بالسخرية اللاذعة الحزينة، التي لم يعرفها الأدب العراقيّ عموماً، لكنّها مع «أبو غاطع» اكتسبت شكلاً جديداً أكثر عمقاً وشمولاً وخفة دم كما يُقال.

\* كاتب ومفكر

تنمة ص التالية



كان عمود "أبو غاطع" الصحفي خطأ من خطوط المواجهة السياسية الساخنة، بقدر ما هو شفيف خفيف وأنيس، يقرأه من كان من محبي "أبو غاطع" وأدبه، لكي يتمتعوا بحكاياته وأقصوصاته وطرائفه ومفارقاته، مثلما يقيسون به درجة حرارة الجو السياسي والحراك الاجتماعي، وكان خصومه في السلطة وخارجها يقرؤونه أيضاً، ليعرفوا مواطن الخلل في السلطة نفسها، ولديهم أيضاً، وكان العمود بمثابة البارومتر الزئبقي الدقيق، فكلما ارتفعت لغة "أبو غاطع" حرارة، سجل البارومتر سخونة الوضع السياسي والعكس صحيح، وكان موقع عموده في الصفحة الأخيرة من جريدة "طريق الشعب"، حيث يتربع "بصراحة" وهكذا كان القراء يبدؤون بقراءة الجريدة بالمقلوب، أي من الصفحة الأخيرة، وعندما نقل العمود إلى الصفحات الداخلية، كتب أبو غاطع "نزلوك لو صعدوك"، أي لماذا تم نقل العمود، مع غمز ولمز.

كان عمود "أبو غاطع" يعطي جرعات متواصلة من السخرية المشوبة بالحزن، تلك التي يخشاها الحكام والمستبدون والبيروقراطيون من كل صنف، ولون، وفي كل زمان ومكان.

يتبع 4 في العدد القادم

حبكة درامية، اكتمل بناؤها في حالات وظل غير مكتمل في حالات أخرى.

لقد تطوّر مفهوم البطولة في روايات وحكايات أبي غاطع؛ ففي قضية حمزة الخلف خفت أو ضعف فيها تأثير الأيديولوجيا قياساً بالرباعية، برغم أنه ظلّ يلقي بظلاله الثقيلة عليها، لكنها لم تعد "كلية القدرة" أسطورية، خارقة يُنسب إليها كل الصفات الحميدة، بل تتمثل في الشخصية الإنسانية البسيطة التي تحمل عناصر القوة والضعف، الشجاعة والخوف، الاقتحام والتردد، الخير والشر، المجد والأخطاء على حدّ تعبير الشاعر الجواهري، في قصيدته المهداة إلى الزعيم العربي جمال عبد الناصر:

لا يعصم المجد الرجال، وإنما... كان العظيم المجد والأخطاء وهي تذكرنا بـ "غريغوري" بطل رواية شولوخوف دون الهادئ المتذبذب، المقتحم، المتردد، الضاح بالحركة والحبّ والفحولة، المتنقل بين القوزاق والجيش الأحمر والجيش الأبيض وبالعكس!

كان "أبو غاطع" يثير الكثير من الأسئلة، وقد تبدو للسامع أو للقارئ أنها أسئلة سهلة، لكنها من السهل الممتنع، فالأسئلة السهلة هي أصعب الأسئلة وأخطرها: الحرية والإيمان، الالتزام والتضحية، العنف والسلام، الوفاء والتعايش وغيرها، أمّا لغته فكانت سلسلة وقوية يطرز فصحاء الخصبية بالعامية الجميلة، وبشيء من المرونة، فيحاور الدولة على لسان خلف الدواح، وينتقد الأوضاع السياسية، ويناقش الحركات، والأفكار، ويتمنطق بمصطلحات أيديولوجية وبحبكة درامية. كلّ ذلك مغلف بالسخرية، لينتقل من حديث المجالس والشفاهة إلى الكتابة، ومن الريف إلى المدينة ومن هموم الفلاح إلى مشاغل المثقف.



وبقدر سخرية "أبو غاطع"، كانت الرواية شكلاً جديداً للتعبير، مثلما ظلت الأقصوصات والحكايات مادة طازجة يحتويها عموده الصحافي وبقدر المتعة والضحك، فإنها في الوقت نفسه، تعكس جدية عالية ووقاراً هائلاً، حتى وإن كنا نضحك من الأعماق.

مطارحات حدثني في إحدى الليالي الخريفية عام 1976 وكان قد فرض على نفسه إقامة شبه جبرية بسبب التباسات الوضع السياسي والحزبي، قائلاً إنه ضمن المشهد السائد يشعر مثل "المعكل بالمرقص" (أي من يلبس العقال والكوفية - البشماغ) وهو يراقص فتاة، وأردف قائلاً: نعم إنه معكل بمرقص السياسة. وكان يسمى علاقات تلك الأيام "عرس واوية" أي "زواج ثعلب" نظراً لتردي العلاقة بين الأطراف السياسية، ولا سيما الحكومة وحلفائها.

سألت "أبو غاطع" في حوارات مطولة معه: لماذا اختار الرواية بوصفها صنفاً أدبياً حديثاً وسيلة للتعبير... ألا تكفيه الصحافة، خصوصاً وقد أبلى فيها بلاءً حسناً إلى درجة أن شعبيته بين القراء ومن كل الألوان والتيارات والمستويات كانت محط حسدٍ وغيطٍ، حتى من جانب بعض المقرّبين؟!

هنا نفث دحّان غليونه المعطر والمعتنى به جيّداً وبعد برهة صمت قال: كنت أرغب في أن أكون شاعراً، لكن الصحافة استولت عليّ وأخذتني في دروبها، وإن كنت أجد نفسي في الصحافة برغم القيود والمضايقات إلا أنها لم تكن تكفيني للتعبير عن مكنونات روحي وما يخالج في صدري أحياناً.

وجدت في الرواية الفضاء الأرحب والأوسع، لذلك أشعر أنني اكتشفت نفسي مجدداً في فسحة القلم متحرراً من المجابهات المباشرة واليومية التي يفرضها العمود الصحافي والأقصوصة ذات الأبعاد الأتنية، فضلاً عن ذلك فالصحافة ليست دائماً في متناول اليد تغيب عني وأغيب عنها لأسباب موضوعية وذاتية.

التاريخ غير المكتوب يمكنني القول إن فصلاً مهماً من تاريخ العراق السياسي كان سيبقى غير مكتوب ولربّما مجهولاً، بما في ذلك التراث الشعبي لولا موهبة "أبو غاطع" الذي امتلك أدوات تصويرية وقدرات تخيلية لالتقاط واقع الريف العراقي بروية شفاقة، بحيث اختلط الواقع المعيش بالخيال المتصور في

## الصمود في وجه العواصف العنصرية في رواية ( قبل أن يذبل القلب ) للادبية سعاد الراعي



جمعة عبدالله

### ×× أحداث المتن السرد في الرواية :

الشخصية المحورية ( ندى ) متزوجة تركت العراق مع زوجها ، نتيجة الاضطهاد السياسي ، وأسلوب الارهاب في البطش والتتكيل في تعامل النظام الشمولي مع الشعب ، إبان السبعينات والثمانينات القرن الماضي ، لم يعد لديهما خيار سوى نافذة الهجرة واللجوء الى المجتمع الغربي . لكنها وجدت الوجه القبيح ، وجه العنصرية العمياء ، ضد كل ما هو اجنبي ، اخذت على عاتقها توفير لقمة العيش والعمل كبائعة بسيطة ، تخلت عن طموحها في المواصلة في الدراسة الاكاديمية ، مضحية بنفسها من أجل زوجها وعائلتها، في التفرغ للدراسات الأكاديمية والحصول على الشهادة العليا ، فكانت تشغل ساعات طويلة، لكي توفر المال لزوجها، حتى يصل إلى طموحه الأكاديمي ، رغم مرضها وضعف جسمها ، في الارهاق والانهاك والمرض ، لكنها واصلت عملها الشاق ، بروح التقاني والتضحية في سبيل زوجها ، حتى يحصل على الشهادة العليا ، ولكنه حينما حصل على الشهادة الاكاديمية ، بدلاً من ان يرد العرفان الجميل والتضحية والوفاء الى زوجته ، واجهها بالبحود والانكار ، والغدر والخيانة ، واعتقد داخل نفسه المغرورة بالتعالي ، بأنه من عليا القوم ، وزوجته من حثالات المجتمع ، بائعة بسيطة في متجر ( هذا فيض من التضحية لم يقابل بعرفان يبل صدى روحها ، بل اصطدم بجدار صلب من التعالي ، اذ راح الاكاديمي المرموق ينسج من خيالات غوايته الفكرية سياجاً يفصله عنها ، وبات يرتجف خجلاً من مهنتها كبائعة بسيطة ، متناسياً ان لقمة فخره ومداد أبحاثه، لم تكن إلا من عرق جبينها وتيبس أطرافها من عمل المتجر ) ص 16 . لم يكن في مقدورها الاستمرار في

الاهمال والتجاهل والاساءة ، بل الاحتقار الانساني ، مما يضاعف معاناتها ، تعاملوا معها كأنسان غريب أو مذبذب اقتحم المصحة الطبية في بلدهم عنوة ، يتطلعون اليها بفضول غريب ، لذا شعرت داخل نفسها ، بأنها دخلت غابة موحشة ، وليس مصحة علاج وتضميد وتخفيف الازعاج مرضها ، فكانت عيون الموظفين والمشرفين تتطلع اليها بفضول غريب ، وتلاحقها العيون الجامدة ، كأنها زجاج النوافذ ، والكاميرات تراقبها من كل الزوايا ، كأنها تحصى دقائق قلبها ، باختصار كل ما هو موجود في المصحة العلاجية بالنسبة لها ، ليس هو خدمة تقدم بشكل انساني للجميع ، بعيداً عن العرق والقومية واللون والبشرة ، لكن تعاملوا معها عبارة عن أنها مجرد رقم مدون في الاضبارة فقط ، وجلسات العلاج بدأت عليها ثقيلة ومرهقة ، لا تساعد في تخفيف اوجاعها ، وانتظارها لساعات طويلة حتى تدخل في جلسات العلاج ، والعلاج هو عبارة عن عمل روتيني فج ، مع نظرات التعالي والتجاهل ، وشعرت ان هذه الجلسات عبرة عن مضيق للوقت ومرهقة ، مما يزيد بها ضعفاً وانهاكاً ، كأنها رهينة سجن ، وحتى الحبوب العلاجية لا تؤدي الهدف المطلوب ، تشعر انها ثقيلة عليها ، لذلك تحاول التخلص منها برميها تحت التراب ، في جولاتها الصباحية ، كجزء من الصمود الصامت والرافض ، اما داخل الردهة مع المرضى الآخرين ، استقبلوها بالسخط والاحتجاج ، كأنها تزعجهم مكانهم ، في اسلوبهم العنصري الحاقص على كل اجنبي ، في الحقد والكراهية ، ولغتهم العنصرية ، تشعر بها كأنها سكاكين تنهش جسدها الضعيف ، ولكنها في النهاية تنتفض عليهم في الكلام الموجه لهم ، وشعرت ان صمتها يعني في المفهوم العنصري الكريه وعقليته ، يعني تخاذلاً واستسلاماً ، كرد فعل مضاد ، انتفضت من اجل المحافظة على كرامتها وانسانيتها في وجه العنصرية الحاقصة . هذه الخطوط العامة للحدث السرد ، ورويته الفكرية ، عبر فصول الرواية ( ثماني عشرة فصلاً / وكل فصل يحمل عنواناً خاصاً ) ، ان الحدث الروائي بتعبير بسيط ، هو صراع بين الكرامة والانسانية ومضادها العقل العنصري المنغلق ، من ينتصر ضد الآخر ؟ .

الادبية بارعة في صياغة الإبداع الروائي الحديث بكل احترافية في الشكل والمضمون ، أن يحمل سمة الصدق والمصادقية ، في احساس مرهف في القضايا الانسانية في عصرنا اليوم ، والتعامل بكل مسؤولية في تسليط الضوء ، في الحدث الروائي ليأخذ ابعاد الرمز الدال في المعنى والمغزى ، في الطرح والتناول الواقعي الهادف ، أن يكشف بواعث العنصرية الكريهة ، في بلدان اللجوء ، بما يسمى الوطن البديل ، وكيف يتم التعامل مع الأجنبي ، لذا فإن أحداث السرد له صلة في الوجود والواقع الفعلي ، ربما الخيال الفني لعب دوراً في تنسيق وترتيب الأحداث بشكل منسق ، على ضفاف اللغة المرهقة في التشويق والمتابعة ، تكشف في سردية الحدث الروائي ، أبعاد العنصرية في الحقد الأعمى والكراهية على الاجنبي واللجئ ، وما على الشخص المعني في حمل هذه الاحمال الثقيلة ، سوى الدفاع عن كرامته الانسانية ان يصمد ويتحدى ، حتى لا يسقط ذليلاً ومهاناً ، ان يحافظ على إنسانيته من المسخ والتشويه ، لأن مظاهر العنصرية الحاقصة ، ليس سلوك فردياً منعزلاً ، بل هو ظاهرة عامة في المجتمع الغربي ، في تعاملهم مع الاجنبي ، فكيف يكون الحال مع امرأة طلبت الحماية والحرية في بلد اللجوء ، وأكثر فداحة عندما تكون هذه المرأة مصابة بأمراض طبية ونفسية ، تتطلب العلاج الملأئم ، لتخفيف حدة اوجاعها ، وان يهدء حالتها النفسية المتدهورة ، نحو الضعف والانهاك ، لذا وجدت نفسها طريحة المصحة الطبية والنفسية للعلاج ، لكنها اصطدمت في واقع غير انساني في التعامل معها من قبل المشرفين على المصحة ، ولم تجد العلاج الشافي من اطباء المصحة ، تعاملوا معها بعيداً جداً عن مهنة الطب الانسانية ، ولم تجد سوى

تتمة ص التالية



اللقاءات , طلب (مايك) ان يزورها في المصحة , وعبر عن رغبته الشديدة بذلك, فرفضت في لسانها لكن قلبها يود ذلك ( - لا يا مايك .... لا ارجب بذلك ) ثم واصلت كلامها ( - لم يبق على انتهاء العلاج سوى أسبوع واحد أو اسبوعين على الأكثر .... وبعدها

سأكون معك , لذلك ارجوك ان لا تتعب نفسك بعناء الرحلة ( ص100 . ولكن بعد اسبوع اخبرها احد المشرفين على قاعة الاستقبال , بأن هناك رجلاً جاء لزيارتها , وموجود في قاعة الاستقبال مع الزائرين , حضرت نفسها لهذه المفاجئة السعيدة , ودلفت الى داخل القاعة وجدت ( مايك ) ينتظرها هناك , هرعت إليه بحرارة والشوق واحتضنته , وغرقا في القبل الطويلة وسط دهشة وذ هول الحاضرين, ثم بعد ذلك , اخرج من جيب معطفه الداخلي , علبة حمراء صغيرة , وركع على قدميه وخاتم الماس يلعب بين يديه , وقال بعاطفة جياشة ( - حبيبتي ندى ... هل تقبليني زوجاً مخلصاً وشريكاً ليامك ؟ رجلاً لا يريد من الدنيا سوى ان يحيا بقربك , وان يشيخ ويموت بين ذراعيك ؟ ) ص105 . بكت في تلك اللحظة الحرجة بشدة , كأن اطياف الرحمة والخلاص تدوران حولها , وقالت بصوت متهدج ومرتبك , تحاول ان توصل كلمة ( نعم ) الى سمعه , وفي اعماق شعورها ترفرف كالطائر بجناحيه في الفضاء , بأن حلمها وخلصها من المعاناة , ومن سنوات العجاف الطويلة , أصبح حقيقة تمشي على الارض ( - تحملت كل شيء عاصف هناك .... لانني كنت اريد ان اصل الى هذه اللحظة بالذات .... أن اعيش ما تبقى من عمري كما اريده أنا , لا كما تمليه وتقرضه نوائب الحياة علينا عنوة ) ص129 , وبعد اسبوع حاولت المصحة تعطيل وتأخير خروجها , ليس مع الآخرين الذين سوف يغادرون المصحة , ولكن اصرارها وعنادها , ان تخرج مثل الآخرين , وفي الاخير رضخت المصحة الى طلبها وخرجت مع الآخرين , رغم ان اسمها كان آخر الاسماء , ركبت الحافلة لتنتقل الى ( مايك ) الذي ينتظر باحر من الجمر , وحين وصلت اليه , زغرد بفرح وبهجة ( - واخيراً ... اخيراً أنت بين يدي .... معي .. اجل معي , وفي حماي ) ص127 , وترد عليه بلهفة حارة ( - اخيراً يا حبيبتي .... أنا معك ولن يحتجب فجرنا ) . ونطلقا الى رحلة الحرية والسعادة , بعد صبر عسير, وفي الاخير لهلت بالانتصار.

\*\*\*

( - رئيسة وزرائنا امرأة ساقطة ومنحطة , هي ومن معها من فتح أبواب البلاد على مصراعها لهؤلاء اللاجئين , وتسبب بكل هذه الكوارث التي خربت بنيان البلاد ) ص54 . وجدت ( ندى ) نفسها في مناخ مكهرب بالعنصرية وبلغتها المسمومة , وان صمتها لن يجدي نفعاً , بل يعتبرونه ضعف واستسلام , ويتمادون عليها أكثر في استغلال صمتها , فلا بد أن تدافع عن كرامتها وإنسانيتها , في هذا المناخ الموبوء بالكرهية والحقد , لا بد ان تنتصر لكرامتها وان تصون إنسانيتها , لهذا مزقت صمتها , لذلك اعتدلت في جلستها وانتفضت عليهم , موجهة كلامها اليهم ( - كنت أظن أنكم بفطركم فهمتم ما الذي كنت أرمي إليه , وانكم أدركتم ما يعني صمتي , وتحفظي الطويل , أن يعيد أحدكم النظر فيما قاله من حماقات , أو يشعر بأدنى درجات الحرج , حتى لو صاغه في اعتذار عابر , من باب المجاملة الاجتماعية .. ظننت أن واحداً منكم على الأقل سيسأل نفسه في خلوته . ماذا لو كنت أنا الغريب في بلادهم ؟ ) ص48. شعرت بالارتياح الروحي , كأن حملاً ثقيلاً ازاحته عن روحها, وسط الوجوم ودهشة الحاضرين داخل الردهة , لم يتوقعوا هذا الرد وهذا الكلام , الذي وضع العنصرية في دائرة الاتهام , لقد تكلمت بلغة المعاناة من امرأة خمسينية , تكلمت بصراحة , وبحرقة الإنسان المظلوم ( امرأة خمسينية تتكلم بحرقة الإنسان لا يطالب إلا بحقه البديهي في ان يعامل بأدمية , فيما الآخرون يرمقونها بنظرات مستفزة كما لو تجاوزت حدود الدور الهامشي المرسوم لها في سيناريو الحياة ) ص48 , وخلال تجوالها الصباحي الى الشاطئ وجلسها في المقاهي لارتشاف القهوة الصباحية . تعرفت على رجل ( مايك ) بدأ الحديث والحوار بينهما , وعرفت منه سبق وان جرب الزواج , لكنه فشل بعد ذلك , كان متفهماً لدور الإنسان وقيمه وسلوكه المستقيم في المجتمع , وجدت فيه الرأفة والعاطفة الانسانية , فكان التجاذب الروحي بينهما ينمو الى العلاقة المتينة , وجدت فيه راحة روحية من الوحدة والانعزال , فقدت دأبت على عدم الحضور في الاجتماعات التي تعقد في قاعة المصحة , لأنها وجدت فيها مملة وثقيلة , وكموقف رافض بغيابها , لكن مع ( مايك ) انفتحت أساريرها . وتوقد قلبها في انوار الحب , وتكررت اللقاءات الحميمة بينهما , وزاد التعارف أكثر بينهما , وتممقت العلاقة والارتباط الوثيق بينهما , وجدت بوجوده راحة نفسية وروحية , تجعلها تنسى معاناتها في المصحة , وفي احدى

العلاقة الزوجية , في ظل الغرور ونكران الجميل , سوى ان تطلب الانفصال والطلاق , واستجاب بدم بارد , كأنه كان ينتظر هذه الفرصة الثمينة , لكي يتخلص منها . دخلت المصحة للعلاج من أوجاعها ومرضها الصعب , ناشدة العلاج الطبي , الذي يخفف من أوجاعها ويضمّد جراحها من المرض , لكنها لم تجد سوى المعاملة الخشنة , ولم تجد العلاج الملائم , سوى الارهاق النفسي والانتظار للساعات طويلة حتى يسمح لها بالدخول , لتدخل غرفة المعالجة , وجدت المماطلة والتجاهل , وليس تفهم أوجاعها في غرفة المعالجة , إضافة أنها وجدت نفسها ملاحقة أو مراقبة , من فضول نظرات الموظفين , عيونهم كأنها زجاج النوافذ , لم تجد سوى الكاميرات تلاحقها في كل زوايا , كأنها تحصى دقائق قلبها , لم تكن في المصحة سوى انها رقم مدون في الاضبارة فقط , والتعامل الروتيني الثقيل في الجلسات العلاجية الثقيلة , التي يغيب عنها التعامل الإنساني , وحتى الحبوب الكيميائية , لم تكن سوى زيادة هزال جسمها وضعفه , وكانت تأخذ الحبوب وتدفنها تحت التراب , كرد فعل صامت ورافض , وكانت تخشى ان تلتقطها الطيور الجميلة ( - ترى . ماذا لو ابتلعت هذه الطيور الفاتنة تلك العقاقير ؟ هل ستنتشي وتصاب بالسكينة وتغرد بصوت أعلى شجواً ؟ أم انها ستغط في نوم عميق لأيام طوال فوق الأغصان ؟ ) ص57 .

أما خلال وجودها في الردهة مع المرضى الآخرين , استقبلوها بنظرات مستفزة وحاقدة , تقطر بسموم العنصرية العمياء , في الحقد والكرهية ويرفض وجودها بينهم , في لغتهم العنصرية الجوفاء , والكلام المسموم الموجه لها ( - في مدينتنا صار الاجانب في كل زاوية ومكان , وهذا امر مقبوت لا يستطيع تقبله أو ابتلاعه ابدأ )

( - انهم يثيرون القرف )

( - روائهم خانقة ..... اشكالهم تبعث على الاشمئزاز ) ص38 ,

( لم اتوقع ابدأ ان اجد واحدة منهم تجلس بيننا )

( والدولة تصرف على هؤلاء, من جيبونا وأموالنا , كل هذا الخراب بسبب السياسة الرعناء )

( وجودهم بيننا هو سبب مرضي وقلقي المزمّن..... اذ لا يستطيع النوم ملء جفوني وانا اعلم ان واحدة منهم تقاسمنا هذا السقف ) ص42 .

فرايس

## « قصص قصيرة جداً من مجموعة (خراب لا يُرمم) »



سينو إبراهيم

### 3- الهاتف الذاكرة

يعرف كل شيء  
الأرقام، المواعيد، التذكيرات.  
لكنه لم يكتشف يوماً أن صاحبه يبكي بجواره  
بصمت،  
صمت لا يُصدر إشعاعاً.

### 4- بين الرحمة والغش

في منتصف الامتحان، رفع أحد الطلاب يده  
وقال للأستاذ:  
"أستاذ، نريد مساعدة"  
هز الأستاذ رأسه بفهم، ثم خرج وعاد يحمل  
إبريق ماء. ملأ الأكواب بنفسه، وشغل  
المراوح، وفتح النوافذ قائلاً بحنان:  
لا أريد أحداً أن يتعب.  
ساد الصمت لثوانٍ.

### 1- المول

كان المول يعج بأضوائه الباهرة، يلمع كأنه  
عيد دائم.  
دخل الفقير متردداً، ينتقل بين المحلات كما لو  
أنه يلامس حياة لا تخصه.  
توقف أمام الأحذية، ثم أمام العطور، ثم أمام  
لعبة كان يتمنى شراءها لطفله، لكنه اكتفى  
بالنظر.  
وعندما خرج، لم يحمل كيساً واحداً،  
بل حمل خيبة اتسعت أكثر من المول نفسه.

### 2- الكرسي المتحرك

كان الطفل على كرسيه المتحرك يجوب ساحة  
المدرسة بابتسامة أكبر من خطوات الآخرين.  
تساءلوا بدهشة:  
"ما سر ضحكك التي لا تنطفئ؟"  
رفع رأسه بثقة طفل يعرف طريقه، وقال:  
"أنتم تركضون وراء أحلامكم، أما أنا، فقد  
وصلتُ إليها وأنا جالس".



### 7- شابان.. وعصران

كان شاب في الشرق يتعلم كيف ينجو من  
الحرب. وكان شاب في الغرب يتعلم كيف  
يغير العالم. كلاهما في العشرين من عمره.  
لكن أحدهما وُلد متأخراً قرناً كاملاً.

### 8- النسيان

دفع ثروة ليمحو ذكرى المرأة التي أحبها.  
خرج من العملية خفيفاً وسعيداً. وفي الطريق  
لمح امرأة لا يعرفها. تسارعت نبضات قلبه  
فجأة، وكأن الذكرى نجت وحدها.

## المكان مليء بالتساؤلات والأوهام، حيث يتسلل الغموض

### نثرات عابر سبيل

في هذا المكان الرمادي،  
لا لون يجرو على البقاء،  
كل شيء يتشوش بين الأبيض والأسود،  
في هذا الحيز الذي لا يدركه الضوء،  
ولا تحجبه الظلال،  
نحن فقط نتساءل.  
هل نحن هنا أم هناك؟  
أم أن هذا المكان ليس سوى وهم آخر،  
تخترقه أفكارنا كدخان لا يثبت على شيء؟  
هل نتنفس الهواء،  
أم أن الهواء هو الذي يتنفسنا؟  
هل الوقت هو الذي يمر بنا

أم نحن من نمر فيه؟  
كل شيء يبدو قريباً،  
لكن لا يمكن لمسه.  
كل شيء يشبه الذاكرة،  
لكنها ليست هي.  
هذه الكتب التي تنتثر حولي،  
هل هي صفحات من الماضي  
أم هي المستقبل الذي جاء قبل أوانه؟  
أين أبداً؟  
هل نحن أحياء؟  
أم أننا نتساقط في بئر لا قاع له؟  
أو ربما،  
نحن فقط صور في ضوء ضبابي  
يتلاشى كلما اقتربنا منه؟

هذه الكتب،  
هذه الجدران،  
هل هي موجودة؟  
أم أننا نوجدتها؟  
هل نحن الأوهام  
أم أن الأوهام هي من تكوننا؟  
أم أننا ندور في دائرة  
لا تكاد تبدأ حتى تنتهي؟  
الرمادي يلتهم كل شيء،  
ولا شيء يبدو حقيقياً.  
لكن ماذا لو كانت هذه هي الحقيقة الوحيدة؟  
الحقيقة التي لا لون لها،  
ولا شكل،  
ولا إجابة

فراديس

## قراءة لرواية "قبل أن يذبل القلب" للأديبة سعاد الراعي الكرامة والهوية في مواجهة الاغتراب والعنصرية



الكاتبة وقضاياها، يختار آخرون أن يخوضوا تجربة القراءة من دون وسائط، تاركين للنص وحده مهمة الكشف عن دلالاته وبناء معانيه. ومن هنا فإن هذه الصفحات ليست سوى إضاءة أولى، لا تغني عن متعة الاكتشاف التي تمنحها الرواية لقارئها.

وقد يلمس القارئ عناية الكاتبة بالتوكيد على بعض القضايا الإنسانية، من خلال العودة إليها في أكثر من موضع، بما يعكس إصرار النص على ترسيخ قيم الكرامة والعدالة والتسامح.

أن هذه الرواية تنتمي إلى ذلك اللون من السرد الذي يجعل الإنسان محور اهتمامه الأول، ويؤمن بأن الأدب لا يكتفي بسرد الواقع، بل يسعى أيضاً إلى مساءلته وإضاءة جوانبه المعتمة.

ولهذا فإن "قبل أن يذبل القلب" ليست مجرد حكاية عن الغربة، بل هي دعوة إلى إعادة التفكير في معنى الانتماء، وفي مسؤوليتنا الأخلاقية تجاه الآخر، أيا كان أصله أو هويته.

وأحسب أن القارئ سيجد بين صفحات هذا العمل تجربة تستحق التأمل، لأنها تنطلق من وجع إنساني صادق، وتطمح إلى أن تفتح نافذة على الأمل، مؤكدة أن القلب، مهما أثقلته الجراح، يبقى قادراً على مقاومة الذبول متى تمسك بكرامته وإنسانيته.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أحيي الكاتبة سعاد الراعي على هذا الجهد الإبداعي، الذي يجمع بين صدق التجربة ودفء الإحساس، ويطرح قضايا الإنسان بلغة مشحونة بالعاطفة والتأمل. لقد استطاعت أن تنسج عملاً يلامس الوجدان ويثير الأسئلة، ويمنح القارئ فرصة للتفكير في قضايا الغربة والانتماء والكرامة الإنسانية، وهي بذلك تصيف إلى تجربتها الأدبية عملاً جديراً بالقراءة والتقدير، ومتمنياً لها دوام الإبداع والتألق.

وهويته في مواجهة الاغتراب والعنصرية والانكسار المتلاحقة؟

تنسج الكاتبة سعاد الراعي عالمها السرد من تجربة إنسانية تتجاوز حدود المكان، وتلامس قضايا يعيشها كثير من المهاجرين والمنفيين في عالمنا المعاصر.

فبطلتها "ندى" ليست شخصية فردية فحسب، بل تمثل شريحة واسعة من البشر الذي يحملون أوطانهم في ذاكرتهم، ويبحثون عن الاعتراف بإنسانيتهم قبل أي شيء آخر.

وتقوم الرواية على لغة ذات نفس شعري واضح، تنكئ على الصورة والاستعارة والإيقاع، فتمنح السرد بعداً وجدانياً ينسجم مع طبيعة التجربة التي تعيشها البطلة.

كما يلاحظ القارئ حرص الكاتبة على جعل الألم الإنساني محورياً للرواية، لا بوصفه غاية، وإنما طريقاً إلى المقاومة والأمل والإنبعاث.

ويبرز في العمل اهتمام واضح بقضايا الاندماج والاغتراب، وما قد يتعرض له الإنسان من صور الإقصاء والعنصرية إلى جانب نقد بعض الممارسات البيروقراطية التي تفقد المؤسسات رسالتها الإنسانية، وهي موضوعات تمنح الرواية بعداً اجتماعياً وإنسانياً يتجاوز حدود الحكاية الفردية، مع بقاء أي عمل إبداعي مفتوحاً على تعدد القراءات واختلاف التأويلات.

ولعل من المهم أن يُترك للنص حقه في مخاطبة قارئه مباشرة، فبينما يفضل بعض القراء أن يطلعوا مسبقاً على ملامح رؤية



د. حامد فضل الله

« صدر هذا العام عن دار نشر "باكنانغ" في ألمانيا رواية جديدة، للروائية والناقدة العراقية سعاد الراعي بال عنوان أعلاه.»

تقع الرواية في 156 صفحة من الحجم المتوسط، وتضم، إلى جانب الإهداء والتقديم، ثمانية عشر فصلاً، وتختتم بأراء وملاحظات عدد من الكتّاب والنقاد حول العمل.

### وجاء في الإهداء:

"إلى التي ألهمتني حكايتها، فراقفت خطاها كل سطر في هذا الأثر، إلى الذين حزموا أوطانهم في حقائب الغربة، ومضوا يقاومون صقيع المنافي وثقل العنصرية دون أن تتحني كرامتهم..."

إلى كل قلب هائم يأبى أن يذبل، وينقب في عمّة هذا العالم عن مرفأ أخير للنجاة.

إليك جميعاً أشرغ أبواب هذه الرواية."

لقد كرّمتني الكاتبة بدعوتها إلى كتابة تقديم لهذه الرواية. إنها ثقة أعتر بها كثيراً، وأشعر تجاهها بامتنان خاص، لما تحمله الرواية من جمال، وما تنبجه لي من صحبة نصّ أدبيّ أحببته، وتأمّلت عوالمه وشخصياته وأسئلته الإنسانية.

ويسعدني أن أنشر هنا نصّ التقديم الذي كتبته للرواية، راجياً أن يجد فيه القارئ بعضاً من مفاتيح هذا العمل، وأن يكون مدخلاً إلى عالم، وإلى التجربة الإبداعية للروائية سعاد الراعي.

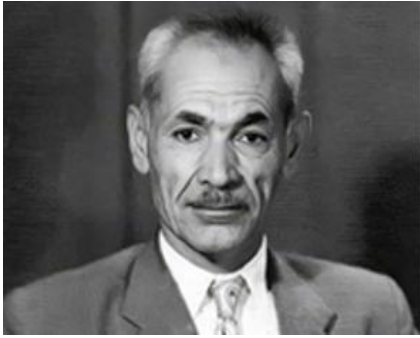
### نص التقديم

ليست مهمة التقديم أن يكشف أسرار الرواية أو أن يسبق القارئ إلى تأويلها، بل أن يفتح له باب الدخول إلى عالمها. ومن هذا المنطلق، تأتي رواية "قبل أن يذبل القلب" لتطرح سؤالاً إنسانياً بالغ الأهمية:

كيف يستطيع الإنسان أن يحافظ على كرامته

## بروتريت: عبد الله كوران.. الصوت المجدد للشعر الكردي

(1)



علاء المفرجي

الكردية في كلية الفنون بجامعة بغداد، كما أصبح عضواً في هيئة كتاب جريدة آزادي.

كوران كان له دور بارز في تجديد الأدب الكردي، مع وعيه بتجديد الأدب في اللغات الأخرى مثل التركية والإنجليزية، ولأنه لم يرغب في أن يبتعد عن الأدب الكلاسيكي، بدأ في الترجمة.

كان أول شاعر كردي يتجاوز أسلوب القافية التقليدي ويعيد الشعر الكردي إلى نمط الكتابة الكردية. كان كوران يؤمن بأنه يجب أن يحتفظ الشعر الكردي بالقافية حتى مع استخدام الحروف، بالإضافة إلى الشعر، كان لديه أيضاً إسهام كبير في مجال الكتابة النثرية، وتعكس كتابات كوران النثرية مراحل حياته، لكنه لم يستمر في الكتابة.

الشاعر عبد الله كوران كان اسمه مرتبطاً بالمقاومة والشجاعة والشموخ، ويعده الكثيرون من رموز الثقافة والأدب الثوري في كردستان في القرن العشرين، والتي تلونت بالصراعات والحروب والتهجير وتقسيم كردستان إلى مناطق نفوذ بين الدول الكبرى، انعكست سلباً على مصير الشعب الكردي وبات بدوره يبحث عن الخلاص والحرية، بالرغم من الظروف التي أنهكتها والمجازر التي ارتكبت بحقه بغية إبادة وإنكاره وإقصائه.



كان عبد الله كوران يتمنى قبل وفاته أن تنشر مجموعته الشعرية، لكن في النهاية، تم نشر مجموعته الشعرية في الثمانينات، بعد وفاته.

"عبد الله سليمان" أو الشاعر المعروف "عبد الله كوران" ولد في "حليجة" عام 1904، درس في مدرسة العلم في "كركوك" عام 1921 إلا أنه لم يكمل تعليمه بعد وفاة أبيه ومقتل أخيه الأكبر، وعاد إلى مدينته للاعتناء بوالدته فامتهن التعليم بين 1925-1937 في مدارس ابتدائية في "حليجة".

كما أغلب الدارسين في تلك الفترة، درس كوران القرآن مع والده في بداية حياته، ثم أصبح إماماً في مدرسة "مسجد باشان" في حليجة، في عام 1919، بعد وفاة والده واغتيال شقيقه، اضطر في عام 1922 إلى ترك المدرسة من أجل تأمين لقمة عيشه ووالدته، من عام 1922 إلى 1925 وواجه صعوبات ومشقات كبيرة، لتكامل جهوده عام 1925، إذ تم تعيينه معلماً في حليجة إلى عام 1937. عام 1937، بدأ العمل في دائرة الأعمال العامة، واستمر هناك حتى عام 1951. خلال تلك السنوات، سافر مع عدد من المثقفين الكرد إلى يافا في فلسطين، شارك هناك في النضال ضد الفاشية، وافتتح قسم كردستان في إذاعة روجاهات نيزيك.

في تشرين الثاني عام 1952 في مدينة السليمانية أصبح مسؤول جريدة "جين"، ولغاية أيلول عام 1953، وفي 17 من شهر تشرين الأول من العام نفسه، تم القبض عليه للمرة الثانية مع بعض من الناشطين في مدينة السليمانية، وسجن سنة واحدة، حيث بقي في سجون السليمانية، كركوك، كوت، بعقوبة ونوكر سلمان، وفي 17 من أيلول في عام 1956، تم الإفراج عنه وتوجه إلى بغداد.

وفي بداية عام 1959، تولى إدارة مجلة شفق، وعمل هناك حتى منتصف الستينات ليتوجه إلى بغداد ويصبح مساعد أستاذ في قسم اللغة

عام 1962، أصيب الشاعر كوران بالسرطان، وأجريت له عملية جراحية ناجحة في بغداد، بعد الجراحة، انتقل إلى موسكو وبقي في مستشفى الكرملين ومنتجع بارفيخا مدة ثلاثة أشهر.

بعد عودته للعراق، ساءت حالته الصحية ورحل إلى جوار ربه في 18 تشرين الثاني في عام 1962 في مدينة السليمانية ووري الثرى في مقبرة (سيوان) بمدينة سليمانية.

### مؤلفاته

نشر كوران في حياتي دواوين العودة، منها: «اللجنة والذكرى» 1950. «الدموع والفن» 1950. «رسالة كرد» (بيامي كرد)

أعماله كاملة والمنشورات ما بعده، تركت أعماله الشعرية بالكامل لأول مرة في عام 1978، ثم طبعت مجموعته الشعرية في الثمانينات بعد وفاته، وحقق أمنيّة في جمع إرثه. إلى جانب الشعر، نشر مجموعة من القصص القصيرة وبعض المقالات النقدية بين عامي 1953 و1961. وكتب عن النضال الهمني والاجتماع، مع الصداقة مع الشعوب عالمياً، مستخدماً أمثالا رسمياً وقوافي مُعبّرة. رائد ومجدد.

في مقالة بعنوان (الشاعر عبد الله كوران النجم الساطع والرائد المجدد في الشعر الكردي المعاصر) يقول "حواس محمود": "الشاعر الكردي عبد الله كوران أحد الشعراء الذين يفتخر بهم الشعب الكردي، باعتباره النجم الساطع والينبوع الدافق والجيل الشامخ في الشعر الكردي المعاصر.. يعتبر كوران

تتمة ص التالية



أستاذاً لمدرسة الشعر الكردي الحديث، لقد ساهم بشكل جدي في تطور الشعر الكردي، وتغيير أوزانه وعروضه وإيقاعاته متلائماً مع الظروف التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمعه، لقد دشّن كوران مدرسة جديدة في النصف الأول من القرن العشرين، ونبذ عملية التقليد والتكرار وأوصل الشعر إلى قمة الإبداع، وأحب الجمال وغنى له وتمحور شعره حول الجمال في جانبيه: المرأة والطبيعة.. لقد وصف كوران الطبيعة كثيراً وصوّر جمالها وروعها ولكنها اعتبر جمال المرأة أفضل بكثير من جمال الطبيعة، ويجد كوران أن الجمال في الإنسان هو الروح والعمل الطيب، فالجسد سوف يفنى ويضمه القبر المظلم بين دفتيه، وهناك جمال واحد سيخلد عبر القرون.. وكان كوران دائماً مع الحدث، ويعد من أبرز الأدباء الذين انخرطوا في الممارسة الأدبية النضالية، ذلك أن الأدب النضالي انطلق مع انطلاق الشعب في ثورة 14 تموز، وقد سجل هذا الأدب البطولة الخارقة التي أباها الشعب والجيش في الانتفاضة على السلطات الجائرة المنهارة في لحظات، قد صورت أعمال أدبية عديدة هذه البطولة، ويقف كوران في مقدمة من صورها في أعمال أدبية، فهذا الشاعر الذي كان يعيش في عقر الزنانات منذ سنين وكان يعبر بقصائده العديدة مثل "أنشودة الصامد" عن بسالة السجناء وصمودهم أمام التعذيب والألم، لكونهم "جنود أمناء لقضية عادلة" ويصوّر كوران منذ اليوم الأول للثورة مشاعره الذاتية، مشاعر السجن الذي كان ينتظر الموت في أية لحظة وهو في قبضة النظام.. ويجسد كوران في قصيدته " قصة الأخوة " الأخوة الكردية العربية، وذلك بنفس شاعرية ملحمة، ويؤكد على تاريخية هذه الأخوة وحيويتها وأهميتها في العملية النضالية، كأساس متين لمقاومة الاحتكارات الاستعمارية والخطط الاستغلالية".

ونشر كوران الشعر في أغلب الصحف الكردية التي صدرت من عام 1930 وحتى مماته عام 1962، وفي عام 1950 نشر له ديوان "الجنة والذاكرة" و"الدموع والفن" وظهرت له دواوين عديدة بعد رحيله ونشرت قصائده الكاملة في عام 1980، ويمكن القول بأن شعر كوران ينقسم إلى ثلاث مراحل أساسية من حيث الشكل والمضمون: كان في البداية شاعراً كلاسيكياً، ثم تحول إلى الشعر الرومانسي فأصبح شاعراً رومانسياً تمحور شعره في المرحلة الرومانسية حول المرأة والطبيعة، والمرحلة الثالثة من

نتاج كوران الشعري هي مرحلة الواقعية، حيث أنه ارتبط من خلال أشعاره بقضايا النضال الوطني الديمقراطي، قضايا الكفاح من أجل الحرية والأمن والسلام، وكان الصوت المجسد لطموحات وآمال الجماهير العريضة وسائر الوطنيين والثوريين آنذاك، لقد كتب في هذه المرحلة "سجن الضحاك" وفيها تناول أسطورة كاوا الحداد الذي كان قائد الانتفاضة الكردية ضد الطاغية الضحاك.. قرأ كوران لشعراء الانجليز ويمكن أن نجد تأثير الرومانسيين في شعره ككيتس وبايرون وشيلي، ولكننا لا نجد تأثيرات إس.إيليويت في شعره كما يدعيه بعضهم، وهكذا نجد أن الشاعر كوران تميز بخصائص متعددة: بشعره الغزير الغني بالمضامين المتنوعة، وكذلك بكونه الرائد المجدد في الشعر الكردي بما يتلاءم مع المرحلة التاريخية، وبكونه الثوري الذي ناضل والتصق بهوم شعبه، ولقد كان الشاعر الرومانسي، والسجين والمناضل ونصير السلم، والمكافح من أجل قضايا الشعب العادلة، إنه بحق الظاهرة النادرة في الشعر الكردي".

### الواقعية في شعر كوران

وفي مقالة بعنوان (عبد الله كوران شاعر الجمال والإنسان.. و قضية شعب) يقول الكاتب "جمعة الجباري": "شرعت الواقعية بعد الحرب العالمية الثانية تتعاظم وتقوى في الأدب الكردي، وأخذت عناصر الواقعية الاشتراكية تتطور وتزدهر فيه بشكل سريع.. وفي عشرينيات القرن المنصرم بدأت إبداعات كوران الشعرية، بالظهور، متفوقاً بها على أقرانه، سالكاً لنفسه بها مدرسة خاصة به، عرفت بعده بـ (مدرسة كوران الشعرية) وعده النقاد حينها (بالشاعر الأستاذ). وهو بجهوده هذه يعد رائد مرحلة أدبية بعد رواد ثلاثة آخرين سبقوه، وكان لكل واحد منهم عصب سبق لمرحلة أدبية معينة، وهم (ملاي جزيري 1407-1481)، (احمد خاني 1670-1706)، (حاج قادر كويي 1816-1892).. بدأ عبد الله كوران شاعراً يرى في الجمال متعة ورسالة في درب الحضارة معاً، فأشد للجمال قصائده الأولى، وإن عرف كوران ربحاً بأنه شاعر الجمال، أو بالأحرى شاعر المرأة والطبيعة، فإنه لم يعزل ذلك الجمال عن قضية الإنسان والشعب يوماً".

### الانقلاب في الشعر الكردي

يقول الكاتب نبيل عبد الأمير الربيعي في مقال له: اتبع كوران أسلوب شعره الأسلوب الغربي وكان هدفه الوحيد التعبيري عن الخيال وضع معنى الشعر لا اللفظة الشعرية وحدها ولكنه على درجة من البساطة والسلاسة وينعدم فيه تزويق الكلمة والعبارة الأجنبية ولكنه على درجة من الجمال والذوق الأدبي في وصف الحبيبة:

أي سواد يضاهي سواد عينيها

واهداها وحاجبها وشعرها المرسل

ويعتبر كوران أن كل صور الجمال في الطبيعة لا تضيء القلب دون بسمة الحبيبة، وقد نقل لنا كوران واقعاً بتصوير الحياة المعيشية الحقيقية للشعب الكردي وقد اغترف مادة اشعاره من منبع الحياة الاجتماعية.

يمثل شعر كوران الأساس الشعري الرصين والمتماثل وقد سخر إبداعاته وطاقاته الشعرية والإبداع لخدمة اللغة الكردية وآدابها بالإبداع. وكان شاعراً مخلصاً لأمال شعبه والإنسان وإدراكها للجمال.

ولد كوران عام 1902 في مدينة حلبجة الصامدة مدينة الشهداء والمأساة التي مر بها الشعب الكردي أيام النظام السابق عندما نتحدث عن كوران نتذكر التجديد أي التجديد في الشكل وفي النوع الأدبي والوزن الجديد واللغة الرائعة. وقد أخذ بيد النشيد الكردي من الكلمات الحماسية البسيطة إلى الصورة واللوحات الجميلة كما كتب الشعر للأطفال وخلق في صورة (هلوك ومحمود وجودت) شعراً البطل الجديد.

نجد في شعره الخيال الذاتي المشوب بالتفاؤل أو الاستنثار بالجمال والبحث عنه بين النجوم والأقمار والأزهار أو بين احضان الطبيعة الباكية. وعنده طاقة كبرى لالتقاط اللوحة الجمالية. وقد برح كوران في وصف المرأة ووصف الطبيعة كما في الجبال والقمم الشاهقة الرافعة الهام وخرير الشلال المرتطم بالصخور الصلدة والأشجار الباسقة.

وفي قصيدة نباح الكلاب مهداة إلى الذين يعرفون بأنفسهم يعوون دون حق... ودار التأريخ دورته الزمنية ونلاحظ الكثير من الساسة الاسلاميين والمنتفعين يعوون مع مع الجبال الأمريكي فقد تبدل فقط (إجلال الحمالي)

يتبع العدد القادم

نقاسيم شعرية

## « قَصَائِدُ... مِنْ ذَاكَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ »



والمقصات  
والشريانية



إيفان علي عثمان

### الظل والفراغ عبر أغصانها ...

- 1  
رأيت في الحجرتين  
شجرات تعبر صفيح الفحم  
نهرًا  
على الغصون
- 2  
ثبت  
الأول  
بالسكون  
راقصًا أصابع سبعا
- 3  
ما نفع المستقبل  
بخار سطوع  
يتحرك داخل غرفة مسورة
- 4  
الجديد  
معلق  
فوق أول جزء  
مثل لون الطريق البدائي
- 5  
دوائر  
بلا خطوات  
بزوايا المخرج  
لا صورة له  
لا صوت له
- 6  
وشم مطروق  
على حافة التواءات  
أوحال  
في آخر العظم

### اللي ميتسماش ...

- اللي ميتسماش  
وصولي  
من عالم  
مطلق الصورة  
مدان  
ببيع الصوت  
في اليوم

### شجرة الديناميت ...

- 1  
رأيت مخرجا  
من المسلخ الاول  
بقواطع آخر لون
- 2  
من تلويات  
بداية المجهول  
تحرر  
المخرج
- 3  
ممر جديد  
مصمم لما يتكسد  
في نافذة سلخ  
بزوايا مدينة
- 4  
يجمع  
اجزاء ورم العزلة  
لغرف بلا جفون  
الطريق اليها يبدأ بالطرق
- 5  
اوشامي  
تجاويف واقفة  
قرب المستقبل  
اراهها من  
الطابق الاول
- 6  
دخل القط الجديد  
الى الغرفة  
وجد حجرتين ونهر  
في  
السنانير
- 7  
ثبت الدروع في الاهداب  
وحرك إصبع السبع  
انها رقصة  
المفصل

### البتاع اللي اسمه ...

- بيسار المنتصف  
طبول العدم  
وثائق التعاسة والضعيفة  
اجولة حص مرشوشة بالبوية  
البتاع اللي اسمه  
اليوم  
غير طبيعي  
حركة جزيرية  
في  
فضاء لاذكي  
لاستخراج صورة  
من المستقبل

### اسفوخس ...

- الحريق محيط  
الشرارة السرية  
طية مسحوبة  
مساكن محمولة  
يوم مستدير  
من الماضي  
مثقل بالدخان المتفسفر  
صياح شريد  
في فم البدانهاية المستعملة  
محاولة الحاضر  
دقة فكرة متضررة  
اسفوخس

\* شاعر وكاتب

## رحلة عزاء أوتار العازف الخالدة

### أوسكار أليمان ... Oscar Alemán

(1)



د. إشبيليا الجبوري

ت: من اليابانية أكد الجبوري

#### ملخص تجريدي مبسط:

حياة أوسكار أليمان المعقدة، اليتيم الذي تُرك لمصيره، عازف جيتار الجاز، الصديق والمنافس الفني لجانغو راينهارت، والذي أثنى عليه ديوك إلينغتون وأعجب به. غير أن ظهر أوسكار أمام الجمهور وعزف مقطوعة على آلة الكافاكينيو (آلة وترية برتغالية صغيرة) كانت عبارة عن مزيج من رقصات شعبية متنوعة سمعها. صفق الجمهور بحرارة وطلبوا منه المزيد. فأجاب ببراعة طفل: "لا أعرف المزيد". (فرد الجمهور: "إن أعزف المقطوعة نفسها مرة أخرى"). وافق أوسكار ولم يغادر المسرح بعدها. في حين أن آخرين في ظروف مماثلة كانوا سيقرون بلا شك بإنهاء حياتهم أو سيدفعهم التهميش والجريمة، وجد أوسكار العزاء في الموسيقى. في ذلك الإيقاع الذي حمله في داخله، والذي، على عكس أبطال آخرين في مسار حياته المضطرب، لم يفارقه أبداً. إن شئتم.

في عام 1931، اتخذت حياة أوسكار منعطفاً درامياً عندما عرضت عليه الراقصة والمغنية الأمريكية الأفريقية العظيمة جوزفين بيكر (1906-1975)، المقيمة في باريس، مكاناً في فرقها الموسيقية. استمتع أوسكار بشهرته وكان العالم لن يتغير. ولكن في عام 1940، غزا هتلر العاصمة الفرنسية، وانهار كل شيء. شهد أوسكار قيام جنود ألمان بقتل شابة فرنسية بدم بارد بمسدساتهم بعد رفضها الانصياع لأوامرهم. كما قتلوا كلبه "باك"، وانهالوا على عازف الغيتار ضرباً مبرحاً.

في الفترة التي سبقت وفاته في 14 أكتوبر 1980، عن عمر يناهز 71 عاماً، استعاد

أوسكار مكانته المرموقة، وعومل كأحد أساطير الموسيقى، وأصبح محوراً للعديد من المقابلات التي سعت إلى ربط خيوط حياته الحافلة بالانتصارات والنكسات.

مقدمة موجزة لا بد منها:

حياة عازف الغيتار الأرجنتيني أوسكار أليمان (1909-1980)، اليتيم الذي تُرك لمصيره وحيداً، سوى صديق عازف الجيتار والملحن جانغو راينهارت (1910-1953) ومنافسه الفني، وإذ به حظي بإشادة وإعجاب عازف البيانو والملحن الأمريكي ديوك إلينغتون (1899-1974).

عندما زار ديوك إلينغتون باريس لأول مرة مع فرقته الموسيقية في يوليو 1933، التقى بعازف جيتار جاز لامع، بارعاً في عزف آله. ولأنه كان دائماً متقبلاً للمواهب، عرض عليه ديوك على الفور عقداً ليصطحبه إلى الولايات المتحدة كعضو في فرقته.



قد يظن أي قارئ غير مطلع أن عازف الجيتار المقصود هو جانغو راينهارت، عازف الجيتار العجري البلجيكي الشهير. وبالفعل، اصطحب إلينغتون جانغو إلى الولايات المتحدة عام 1946، في إقامة قصيرة وغير موفقة. لكن في حوالي عام 1923، ورغم أنه كان يعزف هنا وهناك مع فرق الرقص، لم يكن جانغو قد أصبح بعدُ شخصيةً معروفةً، ولم تكن فرقة "كوينتيت أوف ذا هوت كلوب دو فرانس" قد تشكلت بعد، وهي الفرقة التي ستقوده إلى الشهرة إلى جانب عازف الكمان الفرنسي ستيفان غرابيلي (1908-1997)، وعازف غيتار البيس الفرنسي لويس فولا (1902-1990)، وعازف غيتار الإيقاع

جوزيف راينهارت (1912-1982) (شقيق جانغو)، وعازف غيتار الإيقاع روجر شابو (1909-1994).

لا، لم يكن العازف الماهر الذي أذهل ديوك في عام 1933 هو جانغو، بل شخص آخر. موسيقي وصفه الناقد الموسيقي وعالم الموسيقى الفرنسي الشهير هيو باناسي (1912-1974) آنذاك بأنه "أحد أفضل العازفين المنفردين على آله". كان المشهد الثقافي الباريسي يعج بالحياة، حيث كان الفنانون من جميع الجنسيات يتألقون على المسارح في عروض متعددة الثقافات تجمع بين الرقصات الغربية ومجموعة واسعة من الأنواع الموسيقية. في المقال نفسه، أشار باناسي إلى الشخص المعني باسم "عازف الغيتار الكوبي أوسكار أليمان (1909-1980)". لا يُستغرب هذا الالتباس: فقد وصل أوسكار، الذي كان يبلغ من العمر آنذاك ثلاثة وعشرين عاماً فقط، إلى فرنسا من مدريد بعد جولة في عدة عواصم أوروبية ضمن ثنائي غيتار يُفترض أنه من هاواي؛ وكان يرتدي غالباً أزياء رقص كوبية على المسرح، وقد وصل إلى أوروبا من بوينس آيرس، على الرغم من أنه بدأ مسيرته الموسيقية الاحترافية في البرازيل.

على أي حال، كان أوسكار أليمان (وليس أليمان) أرجنتينياً، وُلد في مقاطعة تشاكو في 20 فبراير 1909، لعائلة موسيقية. والدته، مارسيليا كانت بيريرا من أصول السكان الأصليين. أما أوسكار، وهي امرأة من قبيلة توبا، فكانت عازفة بيانو هاوية. والدها، خورخي أليمان موريرا (1875-1917)، المولود في أوروغواي، والذي يُرجح أنه من نسل العبيد السود الذين جُلبوا إلى منطقة ريو دي لا بلاتا، كان يعزف على الغيتار ويغني. انضم أوسكار، وهو

تتمة ص التالية



قبو الملهى يكتشف الأسرار الكامنة وراء الأوتار. في إحدى الليالي، عندما تغيب أحد الموسيقيين بسبب المرض، سأل أحدهم الصبي الصغير إن كان يرغب بالصعود إلى المسرح. دون تردد، ظهر أوسكار، مرتدياً زيه الأحمر ذي الأزرار، أمام الجمهور وعزف مقطوعة على آله (كافاكينيو) كانت مزيجاً من الرقصات الشعبية المختلفة التي سمعها. صفق الجمهور بحرارة وطلبوا المزيد. "لا أعرف المزيد" (،) أجاب، وذراعه مكشوفة. أيادي الأطفال. صدقهم. "إذن، اعزف المقطوعة نفسها مرة أخرى" (،) هكذا ردّ الجمهور. وافق أوسكار ولم يغادر المسرح بعدها.

بفضل موهبته الموسيقية الفذة وحسه الإيقاعي المذهل (تلك الصفة الفطرية المعروفة في موسيقى الجاز باسم "السوينغ") (،) سرعان ما اكتسب أوسكار ثقة كبيرة في آله الموسيقية وتعلم مجموعة أوسع من المقطوعات. منذ البداية، لم يقتصر عرضه على العزف فحسب، بل كان، على غرار عصر تعايش فيه عروض الفودفيل والسيرك بنجاح، يؤدي رقصات بهلوانية ويؤدي حركات استعراضية مثل العزف على الكافاكينيو دون النظر، ويداه خلف ظهره.

كان أوسكار يعزف بالفعل في الحانات والمقاهي عندما اكتشفه عازف الغيتار والملحن البرازيلي غاستاو بوينو لوبو (1891-1939) (،) عام 1924، والذي كان يكبره بعشرين عاماً تقريباً (كان أوسكار يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً فقط). منذ اللحظة الأولى، أدرك بوينو لوبو موهبة أوسكار. طلب منه استبدال آلة الكافاكينيو الخاصة به بغيتار مناسب (وقدّمه له) (،) وساعده لعدة أشهر على إتقان العزف من خلال دروس مجانية. شكّل أوسكار معه ثنائي "ليه لوبس"، وهو تلاعب لفظي باسم عائلة غاستاو باللغة الفرنسية، اللغة الرائجة آنذاك) (،).

يتبع حلقة 2 العدد القادم

بوينس آيرس، حيث وجد مشهراً مفاجئاً: فقد توفيت مارسيليا بسبب سوء التغذية والحمى) (، وأرسل الطفلان إلى دار للأيتام) (،).

بعد ذلك، تفرق باقي أفراد العائلة. ارتبطت جورجيلينا بطبيب برازيلي شاب ورحلت معه. قرر كارلوس تجربة حظّه في مدن مختلفة كراقص نقر، وبدأت خوانا العمل كخادمة منزلية لدى عائلة في ساو باولو. تُرك أوسكار في رعاية والده الذي بدا يأسه ميؤوساً منه. وفي عام 1922 (،) ، صعد خورخي، المدمن على الكحول، إلى الطابق العلوي من التزام، وأثناء عبورهم جسراً، ألقى بنفسه في الهواء. "تُركت وحيداً، وحيداً تماماً" (،) ، هكذا تذكر أوسكار لاحقاً، "فذهبت إلى سانتوس. كنتُ في العاشرة من عمري تقريباً، ولكن لأنني كنتُ نحيفاً جداً، صغيراً جداً، بدتُ في الثامنة. كنتُ أنام تحت المقاعد وأفتح وأغلق أبواب السيارات لأحصل على بعض البقشيش لأتمكن من تناول الطعام" (،).

على الرغم من أنه رأى شخصاً يعزف على الغيتار، إلا أن الشيء الوحيد الذي كان أوسكار يجيده حقاً في ذلك الوقت هو الرقص. من خلال فتح وإغلاق أبواب السيارات عند مدخل ملهى ميرامار، صنع لنفسه اسماً في النهاية. سمحوا له بالنوم في قبو المكان وأعطوه زياً أحمر اللون لحامل الحقايب حتى يتمكن من أداء تلك المهمة بطريقة أكثر رسمية. (،) لكن الموسيقى كانت تجري في عروقه، وبالمال القليل المتبقي لديه، ذهب إلى متجر صانع آلات موسيقية وسأل عما إذا كان بإمكانه شراء كافاكينيو، [وهي آلة وترية برتغالية تشبه إلى حد كبير آلة الأوكوليل] (،). وافق الرجل على بيعها له على أقساط، كان أوسكار يدفعها أسبوعاً بعد أسبوع، غالباً على حساب الحصول على وجبة هزيلة فقط كل يوم. "أنا" كان يأكل رغيف خبز وموزة يومياً" (،) ، هكذا شرح لاحقاً. ولكن، عندما دفع الصبي الصغير ما يقارب نصف الثمن المتفق عليه، توفي صانع الآلات الموسيقية. شعر أوسكار وكأن العالم ينهار أمام عينيه، لكن زوجة صانع الآلات أوضحت له أن إحدى وصايا زوجها الأخيرة كانت إسقاط الدين. وهكذا، حصل أوسكار على آله الموسيقية (كافاكينيو) وحقيبة جميلة. وظلّ يعتز بهما حتى آخر أيامه.

بدون أي معرفة بنظرية الموسيقى أو تلقي أي تدريب مناسب، أمضى أوسكار ساعات في

الرابع بين سبعة أطفال، في سن السادسة فقط، إلى فرقة العائلة الموسيقية، سيكستيتو موريرا (،) (فرقة جاز برتغالية بارزة بقيادة عازف الكونترباس الحائز على جوائز برناردو موريرا) (،) ، والتي كانت تقدم الموسيقى الشعبية من شمال الأرجنتين والرقصات التقليدية. على الرغم من أن أوسكار الصغير ربما كان يمسك بالغيتر من حين لآخر بدافع الفضول، إلا أن مشاركته اقتصرت في الغالب على الرقص، وربما الغناء قليلاً مع والده وإخوته الأكبر سناً: رودولفو، وكارلوس، وجورجيلينا، وخوانا.

لكن كسب العيش من الموسيقى في شمال الأرجنتين لم يكن بالأمر السهل، وأصبح وضع عائلة كبيرة بلا موارد غير مستدام في نهاية المطاف، فقرروا الانتقال إلى بوينس آيرس الأكثر عالمية. حتى هناك، بدا الحظ بعيد المنال. ورغم أنهم كانوا يقدمون حفلات موسيقية غير رسمية، إلا أنهم اضطروا إلى تكملة دخلهم بالعزف في الشوارع أو بوسائل أخرى، كأعمال أقل فنية مثل تلميع الأثاث أو الأحذية. ودون علم والده، بدأ أوسكار (الذي لم يُكمل الصف الثاني) ببيع الصحف في زوايا شوارع بوينس آيرس. (،) وكان أكثر أعضاء فرقة "سيكستيتو موريرا" موهبة موسيقية هو شقيقه الأكبر رودولفو، الذي كان يغني ويعزف على الغيتار. (،) ولكن بعد وصوله إلى بوينس آيرس بفترة وجيزة، أصيب رودولفو بمرض السل وتوفي. (،) وكانت هذه أولى الماسي العديدة التي حلت بأوسكار في طفولته.

بعد أن فُجع خورخي بوفاة ابنه، وانطلاقاً من رغبته في خوض غمار العمل، قرر تجربة شيء جديد، فسافر إلى البرازيل ممثلاً لشركة تباع القطن والتبغ. ولأنه كان يرغب أيضاً في تجربة حظّه في الموسيقى، رافقه أبناؤه الأربعة الأكبر سناً، بينما بقيت مارسيليا وابناه الأصغر، هيرمينيا وإنريكي، في بوينس آيرس. وكان من المقرر أن يجتمعوا مجدداً عندما تسمح لهم ظروفهم المالية.

فشلت مشاريع خورخي التجارية، لكن فرقة "سيكستيتو موريرا" تمكنت من تقديم عروض موسيقية متفرقة. ومن دخلهم الضئيل، كان خورخي يرسل لمارسيليا ما يستطيع عبر وكيل أعمال برازيلي. (،) لكن المال لم يصل أبداً، واكتشف خورخي أن الرجل قد احتال عليه وفّر هارباً. عاد خورخي يائساً إلى

## الصمت



د.عدنان الظاهر

صوتٌ يعزفُ موسيقى

ومراساً صَعَبَ الأجراس وما شقَّ على الرأس

مضروباً نَصْلاً

أفقدني حَقِّي في الرِّدِّ

يا ضاربَ أعتابِ البابِ تَرَيْتُ

البابَ تقادِمَ حتى حالَ حديداً

والسَّقْفُ تهاوى تحتَ الأنفاسِ شهيدا

حَجَرٌ باقي يَبْكِي مَنْ غابوا

وَيُسَقِّقُ أثوابا

الوقتُ غروبُ

وشقائقُ نَعَمانِ الدُّنيا أفلاكُ حُمُرُ

فالزَّمُ حَذَأُ يرقى صَفْلاً

الهاجِسُ أشباحُ الهاجرِ أفرحا

يرضى أن يَبْقَى نَسِياً منسياً

صُبْحُ في النَجْمَةِ إنذارُ

ومُقامكُ صِفْرٌ في طرسِ الأسفار

رأسُكَ في البابِ العاليِ تمثالُ

يعرى أنقى مخلوقاً

جَهْزُ مِتراسِ البأسِ ومَزَقُ أثوابا

الثوبُ الرثُّ عروقُ جَفَّتْ أكفانا

وقلَاعُ ضَمَّتْ أجداثاً

لا رِيحٌ تعوي لا ضوءٌ يمشي غُرِيانا

ماتَ الأصلُ وصيرني نصفاً في نصفِ

أَسْعَى رَحْفا

أخشى طوقاً شَنْقاً.

## « حين ينام الليل »



ماجدة البابلي

اتمللم كطفلة في ظلمة الحجرة، فأطلق لنفسي  
عنان الخيال وأمتطي جواد الذكريات وأجري  
كي أحاول الأمساك بها قبل أن يسرقها  
النسيان حتى لا تفلت مني..

قمر يفيض بضياءه عبر شرفتي العتيقة  
فيذنو.. يتأمل وحشة وجهي بجفن يداعب حلم  
يتلاشى مع بقايا شمعة تنفحم.

الليل يهبط وتمر الدقائق في بطئ بارد كسول.



نجم يشد عيونه البراقة وهو يراقب أشيائي  
المبعثرة والذكريات المركونة على الرفوف  
المغبرة وكأنه يعرف: لا صوت يطرق باب  
الليل إذ يراقب عن كثب ويتهاشم مع الريح  
والقمر وغمزات يلقيها في عمق جرحي  
الدفين للبحث عن قلب أنهكه وهرأه الغياب.

يسألني ذلك النجم المشاكس عن توهان الفراغ  
!؟

يتابع ثرثرته عن ذلك النهر العتيق بدهلته  
الطرية والمطر العتيق والدرابين العتيقة  
(العكود) التي اقتلعتها الريح الصفراء، ومن  
خلف وحشة الظلام، يمد يده عبر حنين  
الطرقات فيسألني البقاء.. وأي بقااااا !! ؟

فلملت شظايا روعي حين تذكرت:، أني  
أسم مختوم من أساطير الطين البابلية عندنا  
كنت رمز لبراءة الفرات وشمس طبعت  
قبالتها على موجاته الفضية كي تنهي  
حروب الظلال..

متى يشرق صبحك في ضوء عيوني؟ .. !!

شلون اوصفك .. وانت كهرب

وانه كمره عيني ليبييل ظلمه ..

شلون اوصفك .. وانت دفتن وأنه جلمه!!



قمر.. تتلاقفه النجوم في وجل وبعصف  
الشجر، بصمت المطر الناعم وهو ينثر رذاذه  
بخفة أنيقة مع طقطقة خفيفة بخشبة بصراوية  
بخشع إليها الآلهة مرة تلو الأخرى على شرفة  
الحجرة فيبدأ شقاء الليل وعتقه البليد، فأسند  
خدي على وسادتي الصديقة بعد أن مكثت  
الدرابين العتيقة وحيدة مهجورة بلا تجوال  
سوى طيور الظلام وهمهمات ربح تجر  
خريفها القادم في شقاء المساءات الغجرية  
وكانها تستحضر تراتيل مطرا بابلية في  
ثناياها حكايا عن سلالات عتيقة بادت بعد أن  
اطربت مجانين العالم بمزمار ابجديتها ..

## الهجرة إلى الهند...

(2)



مراد سليمان علو

وتصبح من نجوم السينما الهندية في بوليوود وتنافس أبطالها.  
وأنا سأحاول دخول السينما أيضاً.

سأقدم للمخرج الهندي قصة الأيزيديين، سيستمع إليّ باهتمام. سأحدثه عن الجبل، وعن لالش، وعن النزوح، وعن الهجرة، وعن الخوف، وعن الذاكرة.

سيصمت قليلاً، ثم يقول، هذه تصلح لفيلم، وسنكتب في نهاية الفيلم:

"مبني على قصة حقيقية". ثم يقهقه قائلاً، ولكن لدينا أمثال هذه القصص المئات. ثم نكتشف أن القصة الحقيقية أكثر قسوة من الفيلم.

الهنود يمتلكون حساً جيداً لسماع القصص، وسنروي لهم قصصنا. سيحبونها، وربما يؤلفون منها أغاني وأفلاماً ومسرحيات. لكنهم سيسألوننا أيضاً، ماذا حدث بعد ذلك؟ وهنا سنسكت، لأننا جددون في رواية البداية. سيئون في نهاياتها. نعرف كيف نقول: كان أجدادنا...

لكننا لا نعرف كيف نقول: ماذا فعلنا نحن؟ يوماً بعد يوم سنفقد بعض ميزاتنا كشكاليين. لن يعرف أحد أين تقع سنجار. لن يعرف أحد الفرق بين الوردية وبين سنوني. لن يسألنا أحد عن أسماء العشائر. لن يهتم أحد إن كنت قيرانياً أو دنائياً أو هسناوياً أو من أية قبيلة أخرى.

وفي البداية سنغضب، ثم سنعتاد، ثم ربما نكتشف شيئاً مخيفاً، أن الإنسان يمكن أن يعيش من دون كل هذه التصنيفات. وهنا ستبدأ مشكلة جديدة.

من أنا إذا لم يسألني أحد من أي عشيرة أنت؟ من أنا إذا لم أحتج إلى أن أشرح للآخرين من هم أجدادي؟

من أنا إذا لم تكن هويتي قائمة على مقارنة نفسي بالآخر؟

ربما سأكتشف حينها أنني إنسان أولاً. وهذه، في رأيي، أكبر صدمة يمكن أن تصيب أيزيدياً.

في الهند لن يكون عليك أن تواكب التغيير بالطريقة نفسها في كل مكان.

فهناك مجتمعات حضرية حديثة جداً، وهناك.

نحن نفترق إلى القادة الحقيقيين، نفترق إلى الموارد الحقيقية الملموسة، نفترق إلى المؤسسات القادرة، نفترق إلى المنطق في تمشية أمورنا.

لكننا لا نفترق إلى الكلام. لدينا كلام بكفي لبناء دولتين. ولدينا تاريخ يكفي لاحتلال ثلاث قارات. ولدينا أبطال يكفي عددهم لإنتاج سلسلة أفلام هندية من عشرين جزءاً، لكن عندما نحتاج إلى شيء حقيقي، نبدأ بالبحث عن بعضنا.

أين فلان؟ من المسؤول؟ من يدفع؟ من يذهب؟ من يفعل؟

ثم يسكت الجميع. وهنا أفكر، ربما نحن لا نحتاج إلى الهند. ربما نحتاج فقط إلى أن نتعلم شيئاً من الهند. ليس دينها. ولا لغتها. ولا طبقاتها الاجتماعية. ولا أفلامها.

بل فكرة واحدة: كيف يعيش هذا العدد الهائل من البشر المختلفين داخل دولة واحدة، رغم كل تناقضاتهم؟

وبما أن الطبيعة تشكل الأشخاص الذين يعيشون فيها، فسأختار شمال الهند.

هناك الجبال، هناك الهيمالايا، هناك الوديان والثلوج والأنهار، وسنقول للناس إننا من طبقة البراهمة. ليس لأننا نفهم شيئاً عن نظام طبقاتهم الدينية والاجتماعية، بل لأن الاسم جميل ويجعل تقديرنا كبيراً. وهذا يماثل طبيعتنا من الادعاء والغرور الذي نحن فيه، وننفس به ريشنا ليلاً ونهاراً.

لكن ربما بعد شهر من العيش هناك سأكتشف أن الهند ليست كما تخيلتها. سأكتشف أن الفقر ليس نكتة، وأن الازدحام ليس مشهداً سينمائياً، وأن ملايين البشر الذين يعيشون في ظروف صعبة ليسوا شخصيات ثانوية في فلم لأميّتاب باتشان.

وسأكتشف أن الإنسان الهندي، مثل الأيزيدي، ليس مجرد صورة نستخدمها لإثبات فكرة، وهنا ربما يبدأ احترامنا للآخر.

سيعجبكم العيش في الهند.

من يصمد منا هناك سيتعلم الغناء والتمثيل وركوب القطارات، ولن يتأثر بالازدحام الخانق. وقد يتعلم الصبر.

والوقوف في الطوابير، وهو شيء نفترق إليه. وقد يتعلم أن العالم أكبر من قريتنا. وأن الحقيقة لا تسكن دائماً في بيتنا، وقد تفلح يوماً

وهذا ما حدث للأيزيدي في فرمانه الأخير، لم يهاجر لأن العشيرة كلها لا تهاجر معه!

نترك المكان، لكن المكان لا يتركنا. نهاجر من سنجار، فنأخذ سنجار معنا. نغادر القرية، فنحمل أسماء شوارعها في ذاكرتنا. نعيش في أوروبا، لكن بعضنا لا يزال يتحدث عن الجبل وكأنه يراه من نافذة البيت، وهذه ليست مشكلة. ربما هذه هي الذاكرة، لكن المشكلة تبدأ عندما نحول الذاكرة إلى بديل عن العمل. نقول: سنعود. ثم ننام. نقول: الجبل لنا. ثم نذهب بعيداً. نقول: لن نتخلى عن أرضنا. ثم لا نسأل من سيبنى البيت.

أنا لا أدعي البطولة. ولن أدعي البطولة يوماً كأولئك الكتاب المتكئين على أرائك في أوروبا ويكتبون:

"لن نتخلى عن هويتنا وأماكننا وجبلنا". و... إلخ من ذلك الخراط. وهو في أول أمسية يتخلى حتى عن لالشه.

أنظر إلى أهلك الأسرى منذ سنوات، وتحدث عن البطولات الوهمية والنفع، ودون كل ذلك التهويل وبطولات أفلام الكارتون خراط القتاد.

البطولة ليست منشوراً، البطولة ليست صورة بروفايل، البطولة ليست أن تكتب من غرفة دافئة في أوروبا عن العودة إلى الجبل، البطولة إذا أردنا الكلمة فعلاً، أن تفعل شيئاً.

أن تبني مدرسة. أن تساعد عائلة. أن تعيد إنساناً إلى بيته. أن تدافع عن حقوق مجتمعك بالقانون. أن تجمع المال لمشروع حقيقي. أن تسأل عن المفقودين. أن تحاسب الفاسد. أن تقول الحقيقة حين تكون الحقيقة غير مريحة. أما الكلام، فأنا وأنت نستطيع أن ننتج منه جبلاً، وقد فعلنا.

الآن في المجتمعات الأيزيدية لا توجد عشيرة تتبع رئيس عشيرتها كما كان يحدث في الماضي، ولا يوجد رئيس عشيرة يهتم بعشيرته بالمعنى الذي نتخيله.

تتمة ص التالية



قرى ومناطق قبلية ما زالت تحافظ على أنماط حياة قديمة بلد بهذا الحجم لا يمكن أن يتحرك كله بالسرعة نفسها.

وهذا أيضاً يشبهنا في تحركنا.

في مجتمع كهذا يمكن أن تجد إنساناً يعيش في القرن الحادي والعشرين بعقله وهاتفه ومهنته، وآخر يعيش في القرن التاسع عشر بعاداته، وثالثاً يعيش في الماضي كله.

نحن لسنا مجتمعاً واحداً بالمعنى البسيط. نحن طبقات من الزمن فوق بعضها. وهذا ليس عيباً بالضرورة. لكن المشكلة عندما نريد أن نستخدم الماضي لإدارة المستقبل، هنا نضع العربية قبل الحصان.

أما القطارات الهندية، فهذه قصة أخرى. من يصعد قطاراً هندياً للمرة الأولى سيكتشف أن مفهوم الموعد قابل للتفاوض. وهذا مناسب لنا. لن يقول لك أحد:

أين أنت؟

قلت لك الساعة التاسعة كن هنا!

لأننا نحن الأيزيديين نستطيع أن نقول الساعة التاسعة ونصل في العاشرة والنصف، ثم نعتذر للطريق، وللثلاج، وللسيارة، وللجيران، وللحياة. وهذا على الأقل لن يكون صامداً في الهند.

أما في ألمانيا، فلو قلت لشخص: سأصل التاسعة، فعليك أن تصل التاسعة. بل الأفضل أن تصل قبل التاسعة.

وإذا وصلت التاسعة وخمس دقائق، قد تشعر أنك ارتكبت جريمة فلسفية، وحينها سنشعر بالعار إذا كنت قد قرأت لنييتشه.

لكن أجمل ما في الهند بالنسبة إليّ ليس السينما ولا القطارات ولا الطعام ولا اللغة، إنه ذلك السؤال الذي تضعه أمام الإنسان:

كيف استطاع هذا الكم الهائل من البشر أن يحمل كل هذا الاختلاف؟

قد لا يكون الجواب سهلاً، وقد لا تكون الهند مثلاً كاملاً، ولا ينبغي أن نجعلها كذلك. لكن مجرد وجود الاختلاف على هذا النطاق الواسع يجعلنا نعيد التفكير في مفهومنا عن الآخر.

نحن الأيزيديين عشنا طويلاً في منطقة كان الاختلاف الديني فيها سبباً كافياً أحياناً للريبة والخوف والاضطهاد.

ولهذا ربما لا نحتاج إلى البحث عن وطن

يشبهنا، ربما نحتاج إلى وطن يقبل ألا يشبهه أحد تماماً. وسنجد هذا في الهند.

الأيزيدي الذي يحترم ذاته سيوافق فوراً على الهجرة، وأولئك يتمتعون بصلاية وجرة معنوية لا مثيل لها. الذين يطبقون الاستقامة والصدق التي يدعونها على الواقع، وهي خصال حميدة سنتباهي بها أمام الهنود كل يوم، سنقول لهم:

نحن شعب صادق. ثم نختلف على المال. سنقول، نحن شعب متسامح. ثم نختلف على العشيرة. سنقول، نحن شعب يحترم المرأة. ثم نختلف حولها. سنقول، نحن شعب متماسك. ثم يبدأ كل واحد منا بتأسيس جمعية جديدة.

وسنظل هكذا حتى يمل الهنود منا. وعندما سيقول لنا أحدهم:

عودوا إلى بلادكم. وسنقول:

أي بلاد؟

وهنا ستكون الكارثة، لأن الوطن الذي تعيش فيه قوانينه المدنية هشة، ولا تحميك، ولا تحمي أي مجتمع من المستضعفين والمساكين من المكونات الأخرى، يصبح الوطن فكرة أكثر منه حقيقة.

بحسبونا أقبليات، وبضحكون علينا ويقولون، إنما أنتم مكونات. أي عرّف الماء بعد جهد جهيد بأنه ماء، المشكلة ليست في كلمة (مكون). المشكلة أن الإنسان يتحول في هذه الكلمة من مواطن إلى رقم، من صاحب حق إلى حالة اجتماعية. من إنسان إلى ملف.

نحن لا نريد أن نكون مكوناً محفوظاً في التلاجة السياسية.

نريد أن نكون مواطنين، نريد قانوناً يحمي الإنسان قبل أن يسأل عن دينه. وهنا، ربما، نفهم لماذا تبدو الهند مغرية. ليس لأنها أفضل منا. ولا لأنها بلا مشاكل. ولا لأن كل هندي يعيش سعيداً. بل لأن فكرة التعدد فيها تضع أماننا سؤالاً لا نستطيع الهروب منه:

هل يستطيع الوطن أن يكون وطناً للجميع؟

ربما قبل أن أرغب في الهجرة إلى الهند فعلاً. ربما كل ما أريده هو مكان لا أضطر فيه إلى شرح كوني أيزيدياً كل صباح. مكان لا يسألني فيه أحد:

ماذا تعبد؟

ولماذا لا تفعل مثلاً؟

ومن أين أتيت؟

ولماذا أنتم مختلفون؟

مكان أستطيع فيه أن أقول، أنا أيزيدي. ثم ينتهي الحديث. لا يبدأ.

ولهذا سأظل أحب الهند. سأظل أحب ألوان أفلامها، وأغانيها، وأميتاب باتشان، والقطارات، والجبال، والازدحام، والقصص التي لا تنتهي. وسأظل أبحث عن فلم (شعلی) وأشاهده مرة أخرى. وسأقول لأولادي:

انظروا، هذا هو الوطن الأصلي، وسيضحكون، وسأضحك معهم، ثم ربما أفتح هاتفني وأقرأ منشوراً جديداً لأحد الباحثين في الشأن الأيزيدي: (ثبت علمياً أن الأيزيديين أصلهم من الهند)، سأضغط على إعجاب.

ثم أكتب تعليقاً:

"كنت أعرف". ثم أنتظر حتى يحظرني، فقد أصبح لدي الآن خبرة في ذلك.

ربما لا تكون الهجرة إلى الهند إلا مزحة طويلة، وربما تكون الهند نفسها مجرد مرآة وضعناها أمام وجوهنا كي نرى شيئاً لا نريد رؤيته. رأينا شعباً ضخماً متعدد الأديان واللغات والثقافات، ورأينا الفقر إلى جانب الثراء، والحداثة إلى جانب القديم، والسينما إلى جانب الواقع، والأسطورة إلى جانب الدستور.

ثم عدنا إلى أنفسنا. فاكتشفنا أننا نعيش التناقضات نفسها، ولكن على نطاق أصغر.

لدينا الدين والتاريخ والأسطورة. لدينا الجبل والهجرة. لدينا اللغة والذاكرة. لدينا السينما التي نصنعها في رؤوسنا. ولدينا أبطال كثيرون، ومؤسسات قليلة. ولدينا كتب كثيرة عن الماضي، وأسئلة قليلة عن الغد.

ولذلك، إذا سمحت لنا حكومة الهند يوماً بالهجرة إليها، فسأكون أول الواصلين.

ليس لأنني وجدت وطننا الأصلي هناك. بل لأنني ربما أجد هناك شيئاً أهم، مكاناً أستطيع فيه أن أرى الأيزيدي من الخارج، بعدما عجزنا طويلاً عن رؤيته من الداخل.

وعندما أعود من الهند، إن عدت، لن أحمل معي دليلاً على أننا من الهند، سأحمل فقط تذكرة سفر، وبعض الصور، وفيلمًا هندياً قديماً، وربما شيئاً من الحكمة، وعمل شيء حقيقي يمت للواقع بصلة.

\*\*\*

## «مراجعة كتاب: مفهوم الدولة عند ماركس» بقلم: ألفارو غراسيا لينيرا

(2)



شعوب الجبوري

اختيار وتقديم

ووفقاً لرؤيته، لا ينشأ التحول الحقيقي من البيروقراطية أو المؤسسات القائمة، بل من القدرة على إعادة تنظيم الإنتاج والاقتصاد والسياسة انطلاقاً من الحياة اليومية، وخلق أشكال جديدة للمشاركة وصنع القرار. ويؤكد غراسيا لينيرا أنه لا يوجد شكل من أشكال الهيمنة مطلق. أو مثالية. فكل بنية اجتماعية تتضمن في جوهرها إمكانية إعادة تنظيمها بشكل مختلف. لذا، لا يمكن للدولة، بمفردها، أن تضطلع بدور تحرري في المجتمع. إن كسر هيمنة مصالح الطبقة المهيمنة يتطلب ظهور قوة سياسية جديدة، تتجسد في الطبقة العاملة المنظمة كفاعل جماعي قادر على حشد القوة المشتركة وتوزيعها. وبهذه الطريقة فقط يمكن فتح آفاق جديدة نحو أشكال مؤسسية أخرى.

### الخلاصة:

عموماً، يُشكّل كتاب "مفهوم الدولة عند ماركس" إضافةً قيّمةً ومُحمّكةً للنقاشات الماركسية حول الدولة. وتكمن مساهمته الرئيسية في إظهار أن نظرية ماركس عن الدولة لا تنفصل عن نقد الاقتصاد السياسي، متجنباً بذلك القراءات والتفسيرات الاختزالية التي تفصل بين السياسة والاقتصاد. مع ذلك، فإن التركيز على إعادة البناء المفاهيمي يُهمّش النقاش مع المناهج المعاصرة التي تناولت إشكالية شكل الدولة من منظورات نسوية أو بيئية. على أي حال، يُعدّ الكتاب ذا أهمية خاصة لمن يسعون إلى إعادة التفكير النقدي في دور الدولة في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة.

- نوصي القارئ بالإطلاع على الكتاب. لمزيد من الفائدة. لأهميته العلمية والإحاطة بمحتوياته المعرفية المثيرة الاهتمام.

فهي ليست مجرد كيان يُنظم العلاقات المجردة، بل هي نظام يدمج أفراداً وجماعات اجتماعية شديدة التباين، ويلزمهم بالمشاركة في أفق مشترك يُضفي معنىً على المجتمع السياسي. يتجسد هذا التكامل في آليات ملموسة لمركزية الموارد والأصول الجماعية، كتحصيل الضرائب وإدارة الثروة العامة، مما يسمح للدولة بتقديم نفسها كممثلة للمصلحة العامة.

مع ذلك، ودون التشكيك في ما سبق، لا يُعد غراسيا لينيرا ساذجاً، إذ يحذر من أن الدولة الحديثة، رغم تمثيلها للمجتمع ككل، تميل إلى إعادة إنتاج أولوية مصالح الطبقة المهيمنة. تُضفي على متطلبات السوق ورأس المال طابعاً طبيعياً وتُعاد إنتاجها يومياً كما لو كانت قوانين طبيعية، يشترك فيها حتى من هم أدنى منها مرتبة. هنا، يعود غراسيا لينيرا إلى مفهوم محوري في فكر ماركس: القوة الجماعية للطبقات المهيمنة، وهي قوة اجتماعية تُفسر فعالية الدولة ودورها في إعادة إنتاج النظام الرأسمالي. وكما يقول المؤلف:

"لا تملك الدولة تلك القوة المتأصلة للقيام بذلك؛ فهي لا تستطيع خلق واقع اجتماعي من أعلى يختلف عن الواقع الاجتماعي الذي نشأ منه من أسفل"(). بإمكانها التحرك ضمن هذا الإطار، وموازنة بعض السلطات، والمساعدة في توزيع الموارد العامة والنفوذ بشكل أكثر ديمقراطية، لكنها لا تستطيع تغيير البنية العامة للتنظيم الاقتصادي القائم والسلطة الاجتماعية().

وبينما يُتيح هذا التحليل فهماً أدقّ للوظيفة البنوية للدولة في النظام الرأسمالي، فإنه يُبقي سؤالاً محورياً مفتوحاً: كيف يُمكننا التفكير في الوساطات المؤسسية الملموسة بين أفعال الطبقات المهمشة والتحولات الفعلية لشكل الدولة، وهي مشكلة لا تزال موضع نقاش في النظرية السياسية الماركسية المعاصرة.

في هذه المرحلة، من المناسب اختتام هذه النظرة العامة الموجزة بتحذيرات غراسيا لينيرا الأخيرة، إذ يُشدّد المؤلف على بُعد التحول في الفكر الماركسي: فالتغلب على هيمنة الدولة المرتبطة بالعلاقات الاقتصادية السائدة يعتمد على العمل الواعي للطبقات العاملة.

ت: من الألمانية أكد الجبوري

في هذا السياق، يُبين المؤلف كيف تُحوّل وساطة الدولة العام إلى خاص يومياً، مُحولةً المشاعات نحو شكلٍ مُخصصٍ من الإدارة يُقدّم على أنه مصلحة عامة. لا تعني هذه الديناميكية اختفاء المشاعات أو المجتمعات التي تُنتجها، بل على العكس، يستمر المجتمع في إنتاجها باستمرار، حتى عندما تستوعبها الدولة وتعيد تشكيلها. يُشكّل هذا التوتر الدائم بين الإنتاج الاجتماعي للمشاعات ومركزية الدولة لها، وفقاً لغراسيا لينيرا، إحدى القوى المادية التي تُحرّك شكل الدولة تاريخياً وتُفسّر استقرارها وتناقضاتها الداخلية. في هذا السياق، من المناسب إعادة صياغة كلمات المؤلف كاملةً: "في الدولة، يدور الصراع حول الإعلان المشروع عن العام، عن الكوني، من أجل امتلاك أو الانتفاع بالخيرات العامة للمجتمع()."

يُمكن جاذبية الدولة التي لا تُقاوم في كونها فضاءً تركزت فيه غالبية موارد المجتمع وثرواته المشتركة عبر التاريخ: "لكن الدولة، في الوقت نفسه، تحتكر هذه الموارد المشتركة، أي أنها الإدارة المركزية للروابط المشتركة للمجتمع، وبسبب الديناميكيات الكامنة في تركيز عملية صنع القرار، فإنها تُنشئ هيئة بيروقراطية من المتخصصين وصناع القرار فيما يتعلق بالمصالح العام، والذين يتباعدون بشكل متزايد عن مُنشئي هذه الموارد المشتركة()."

من جهة أخرى، في الفصلين الخامس والسادس، يختتم المفكر البوليفي دراسته بتوضيح كيف تعمل الدولة كشكل من أشكال التنظيم السياسي الذي يشمل المجتمع بتنوعه.

قصة قصيرة

«فواتير العتمة... ونشيد المنفى»



حيدر حسين سوري

في مملكة "العتمة السرمدية"، حيث يتنافس المواطنون على شراء شمعة ضئيلة تُضيء عجزهم، رن الهاتف الثابت في بيتي، مخرجاً صوتاً أشبه بأزيز المولدات التالفة.

كان الصديق "ضياء" على الطرف الآخر، بصوت يملؤه الظلم الضوئي:

— "يا صديق العتمة، هل تقرضني شيئاً من النقود لأدفع فاتورة الكهرباء التي لا تأتي؟"  
ابتسمتُ ابتسامةً أثقلها الظلام وقلت:

— "يا رفيقي، متى ما وجدت ذلك الكائن الأسطوري الذي يملك ما لا كي يقرضك، فلا تنس أن تزودني باسمه وعنوانه فوراً، لأهجم على بيته في الصباح الباكر وأستدين منه أنا أيضاً!"

صمت ضياء لبرهة، ثم أطلق تنهيدةً بعمق السنين وقال:

— "يا رجل... ما أشد غفلتي وأجشني!"  
قلت له ضاحكاً بنهمٍ يداري الغصة:

— "وهل حقاً لم تكتشف هذه الحقيقة الإلهامية إلا الآن؟"

اختلطت ضحكاتنا الساحرة بصدى الفراغ، فسألته:

— "ولكن ما الذي فجر في رأسك هذا الكشف المفاجئ؟"

قال والندم يأكل حروفه:

— "لأنني لم أمتلك بعد النظر يوم كانت الحدود نحو بلاد 'الراين' مفتوحة للأقدام والأحلام.. يوم كانت الخطوات نحو اليونان وتركيا وسيلة للخلاص، لا مجرد خطوط على خريطة منسية."

قلت له والأسى يعصر الفؤاد:

— "لا ت ساعةً مندم يا صاحبي.. لست وحدك في هذه الحلبة؛ فغالبية أبناء هذا الشعب العظيم يقتتلون اليوم مع أطيايف ندمهم."



ألمانيا يا حبيبتي  
أعدت لي كرامتي  
أعدت لي شخصيتي  
بالسير في أوجاعه  
والمشي في أهواله  
ليلاً ومع إشراقه  
والبخر في أغصاره  
وصلت يا حبيبتي  
يا... يا حبيبتي  
من تركيا، يُؤناننا  
ماكغونيا، وصربيا  
هنغاريا، والنمسا  
والدرب نحو ألمانيا  
هناك حل الأمان  
والله هو المستعان  
نلت بها إقامتي  
ثم عدت جنسيتي  
وبأي بأي سوريتي  
وبأي بأي غروبيتي  
لم ينته المشوار يا حبيبة  
كي نستكن حياتنا الزنيبة  
سنبني المعاهد الدينية  
ونقسم سنيّة وشيعيّة  
وننشر الثقافة الجاهليّة  
يا... يا حبيبتي!

أغلقت الهاتف مع "أبو النور"، وجلست في العتمة، أتساءل: هل نحن الذين صمدنا في الوطن لنصون الضوء، أم أننا الحراس الذين نسوا أن يشعلوا الفتيل؟

استقرت في ذهني تلك الصور القديمة؛ صور الحكماء "بعيدي النظر" الذين أدركوا مبكراً أن الجدران لا تُطعم خبزاً، فباعوا العقارات والأرض والذكريات، وركبوا أهوال البحار. واليوم، بعد كثر السنين وفزها، صاروا أبناء بررة لـ "ألمانيا"، حاملي جوازاتها الزمردية، يطلون علينا عبر "فيسبوك" بابتسامات عريضة ومنشورات تفيض بالبشر: "باركوا لي... لقد أصبحت مواطناً!"

فيما نجد نحن - المعلقين في طابور الصمود والتصدي- حالة فريدة من "الفقع" الكوني، ينهمر من أعيادهم الغيظ والحسد والغيرة الشريفة وغير الشريفة!

وعلى سيرة الهجرة وجنسيات الأسباد، تنامي إلى مسامعي ما يرويه الرواة في أزقة المنفى — وعلى ذمتهم والعهد على الراوي، ولعله شطخ من شطحات الخيال المائل:

يُحكى أن المدارس العربية السورية هناك، تحت السماء الألمانية الباردة، تخلت عن أشكال الاصطفاف القديمة، وصار التلاميذ يقفون كل صباح بحماس يزلزل البلاط، ليرددوا نشيداً يعيد ترسيم أركان الهوية الجديدة، فتتهفح حجرتهم:



## «الجمالي الفلسفي والسوسيولوجي» \* «المسرح والهوية حوار جمالي في الإشكالية»



أ.د. تيسير الألوسي \*

الاختلاف عن الآخرين هنا نحن بصدد: الهوية التي تحدثنا عنها باستمرار أي الهوية الثقافية، الهوية الوطنية، الهوية الجنسية، العرقية وأية عملية لتشخيص الهوية إنما تأتي وبالتأكيد من البحث في الضمير هو؛ حيث الهوية هي مجمل السمات التي تميز شيئاً أو شخصاً أو ذاتاً فردياً أو جمعياً عن غيره. على أن عناصر الهوية ليست جامدة ساكنة بل تتسم بالحركة الدينامية الزمكانية.. وأبرز ما نشير إليه هنا هو اشتراك الشعب أو المجموعة بـ: الأرض، اللغة، التاريخ، الحضارة، الثقافة، والأهداف المتطلع إليها.

وأبعد من مجمل ما مر معنا فالحديث يتركز (اختزالاً واختصاراً) على الهوية الثقافية أي الشعور بالانتماء لمجموعة أو لاشترك في سمات وخصائص. بما يرتبط بموقف الذات من وجودها وطابعها وسلوكها في الأداء **إقد أتوقف بتفصيل أو أشير عرضاً هنا إلى حالات التبعية ووضع مرجعيات غير وطنية أو قبول امتلاك خصائص على حساب الآخر أو فوقه أو تمس بوجوده كما الشوفينية والعنصرية** لكن بعمامة يهمني تأكيد أن الدرس العلمي قرر استبعاد السلبيات التعارضية الإقصائية التي تقيم وجودها على إلغاء وجود الآخر بينما الهوية تؤكد أنه كلما احترمت خصوصيتك وطابع وجودك وهويته زاد احترامك للآخر بالارتباط بالعلاقة أو الموقف من الجنسية والأثنية والدين والطبقة الاجتماعية والموقع أو أي نوع من الانتماء للفئات الاجتماعية التي لها ثقافتها المميزة. في إطار الوطن أو في إطار الإقليم الجغرافي كما الشرق الأوسط..

\* أستاذ الأدب المسرحي

تتمة ص التالية

من بلد عندنا إنه فراغ دور الثقافة وهويتنا فيها وتخليها عن أبرز منتجي ثقافتنا أقصد المسرح.

إن اعتماد هوية للأمة وأو الشعب يحتفظ بوضعنا التاريخي الراهن بفرص مناسبة لمنع استغلال ينتهك السيادة بالمعنى الأشمل لا بالمعنى السياسي البائس بتجريدته للسيادة وهنا سنجد نموذجنا المسرحي ومحمولاته الجمالية الفلسفية.

وعميقاً في قراءة الهوية (identity) نقول إن الهوية فلسفياً تتجسد في مفهوم العلاقة التي يحملها كل شيء لنفسه حصراً. وتشمل الهوية فلسفياً على سبيل المثال: هوية غير القابل للتمييز حيث س و ص يتشاركان الخصائص كلها، على الرغم من أنهما ليسا واحداً؟ هنا سيتجه الدارس لإشكالية النهلستية العدمية التي لن تحل الإشكالية لتعدد الإرادات وظروف سلوكها وقراراتها أحيل إلى إلغاء دور المنجز الفكري الثقافي للقوميات المتعاشية ومن ثم فنحن لا نهتم حتى بنماذج الأدب والفن أو المسرح عند شعوب مثل الكورد الأمازيغ السريان والتركماني وغيرهم...



وبمراجعة سؤال الفلسفة: هل (أ أو س) و (ب أو ص) هما نفس الشيء، أو أنهما مطابقان لبعضهما (أ = ب) بعلاقة **نهلستية..؟** وسوف ننسأل عن المتغير الزمكاني في الشيء نفسه هل يبقى كذلك؟ وسنتحدث عن التناقض كما عند هيغل [ينبغي استذكار الفكرة هنا توضيحاً للقارئ أو المستمع] والوجود النظير الذي يتحدث عن الإحلال البديل أو الاستبدال..

لكننا إذا عبرنا السؤال الفلسفي باتجاه المفهوم الاجتماعي للهوية، فيجب أن يكون له علاقة بتصور الذات الفردي وأو الجمعي وتمثيلهما الاجتماعي. وما خصائص التفرد أو



ولنتحدث هنا بما يشبه الوقفة التفصيلية عن الهوية الثقافية كونها تشغل بجدلية الذات والآخر لتعيد كل جماعة بشرية قراءة ثقافتها في ضوء اتصالاتها الثقافية-الثقافية مع وجودها ومع الآخر، وفي ضوء متغير المصادر القيمية والسلوكية، وموضوعياً بناء على أشكال التأثير الناجم عن علاقة الذات بالبيئة المحيطة.. ومن ثم بمستوى الأمم والشعوب سيكون للانكسارات الاستراتيجية دافع خطير للانكماش والانكفاء على الماضي واستدعاء سلبياته بفعل الاحباط والتثني والخضوع لاستعباد من نمط بعينه وهو ما أشير فيه إلى الانكفاء أكثر من مرة في تدخلي بهذه الأمسية أقصد اشارة إلى الانكفاء على القوالب الماضوية ما قبل المسرحية في المنطقة بين مرحلة الحضارات القديمة وعصرنا أي بمرحلة اضطربت بأغلبها تحت أقدام غير عربية وغير شرق أوسطية..

وتتبدى معنا في القراءة هذه كذلك، وظائف الهوية: التي لا تأتي من فراغ أو قيود افتراضية متوهمة ولهذا نرصد او نحدد منها:

ضمان ديمومة أو استمرارية وجودية للأمة \ الشعب أو الجماعة الإنسانية فردياً جمعياً بالانتماء لتاريخ يمثل حقيقة لا يمكن نكرانها..

الهوية تحقق مستوى بعينه من التجانس والانسجام بين المجموعة أو الوجود الشعبي في وطن لاحظ التفكك الذي يعتاش عليه لصوص السلطة المجتمعية والسياسية بأكثر



**ضوء البُعد الذاتي لتعريف المسرح وبنيته**  
وربما تم تسمية هذه الهوية بالناعمة انطلاقاً من طابع التفاعل مع الآخر بتعددته وتنوعه الآخر الموجود وطنياً أم إنسانياً يقابل هذه الهوية تلك الصلبة المغلقة الجامدة التي تمتاح من الاستعلاء والإقصاء وجودها فنجد ليس الإقصاء بحدوده في التهميش بل (التطهير) الثقافي أذكر بإغلاق دور المسرح في العراق ومحاصرة المتاح واستهداف أنشطته ومحاولات إعدامه أو تصفيته بطرق شتى إن الهوية الصلبة أحادية حصرية إقصائية الولاء فيها سمة خنوع عابر يقدم الفروض الموضوعية على الإرادة الذاتية بما يكسبه الاستعلاء والشوفينية ويوفر غطاء ومشروعية لمصادرة الآخر وإنهاء وجوده بطمس هويته بالتطهير مرة وبالاختواء مرات مثل محاولات إفناء الإنتاج المسرحي والثقافي التنويري العلماني أو اختراقه بنويًا بتقديم نماذج على طريقة مسرحيات السرار في العصر القروسطي المظلم...

فكيف ندعو للهوية الناعمة ونحن نترك للسلطة السياسية الغاشمة حظر المسارح ودور السينما بالطريقة التي مرت للتو وكيف نثري مفهوم الهوية وهناك من يدعو لنهليستية كوزمبوليتية بنزعة أن المسرح ابن التمدن ودولة المدينة كما يقرأها هو سطحياً وبصورة مفرغة من القيمة؟؟ كيف ندعو للهوية الناعمة وهي الهوية التي ينبغي أن تتقبل منظومة التعددية وطنياً بأن تكون نسبية سياقية تحترم الآخر وتمنحه فرص التفاعل البنائي إيجاباً؟ كيف نتحدث عن الهوية ولغة الحوار لتحديد الهوية مقطوعة مغيبة؟ طبعاً يمكنكم المرور على الانتقاء الإيجابي في منطق تبادل الإثراء والتفاعل حواراً لتعزيز التنوع لكن ليس لصبه في قالب ببغاوي لغويًا ينتهك اللغات وسيميولوجيا وجود الإنسان المعاصر ومنجزه.

\* تنويه: حلقة 1 نشر عدد 131

يتبع 3 العدد القادم

الوجود الذاتي قدرة مبادلة الوجود الموضوعي قراراً وكلما ضعف هذا وجدنا الجماعة تتخلى عن أدوات الثقافة ومحاورها بخاصة تلك التي تعنى بالأسنة وقيمها كما في المسرح وتتكفى تلك الشخصية باتجاه الماضي ليس لأنه وجود زمني مجرد بخط قراءتنا الزمن رأسيًا بل لأنه أمر انتهى على جهد يستسهل الخاوي للجوء إليه بظروف الخواء وخللها ورعباً ورهبة من أي جديد لا يريد تحمل مسؤوليته وهو لهذا لا يأخذ من الماضي سوى الجثث الهامدة ومقاتلها ليجتر بكائياتها بالعودة على أطلالها وتقمص ترهاتها بارتداء جلبابها قالباً سلفياً جامداً لا يقبل عند بعضهم سوى الاجترار...

وفرق كبير بين إحياء التراث التي تتطلب شخصية قوية فاعلة بهويتها وأخرى تبحث عن المنتهى الجامد لتحيا في كنف شعائره وطقسياته دع عنك الانفلات العنفي المتطرف للمنظهر بمظهر امتلاك الفعل والإرادة فيما يرهن مسبقاً عنفه بالعبثية الاعباطية وبمرجعيات عادة ما تكون بعيدة قسوة غريبة ناجمة عن عقد مرضية ابنة هوية التخلف...

سأترك التحدث عن الإعلام وضخ الصراخ اليومي وعبثيته ومنظومة قيم تغرسها السلطة الظلامية وأنظمة قيم أيديولوجية مرضية. لكنني سأؤكد أن الذات التي تحتمي بهوية جماعية، بنسق ماضوي سواء العشائرية أم العنصرية الطائفية المغلقة في حقيقتهم لا يمتلكون إرادة القرار الحر المستقل ومن ثم فهم، لا يتقاسمون أية ثقافة مشتركة ولا أية علامات نفسية مشتركة، إنما يلتقون حول بعض شعارات، أو غايات يرونها الرموز الكفيلة بإبراز وجودهم ولهذا فهم جوهرياً يصطرون على اقتسام غنيمة من فئات ما يرمى إليهم ممن يدير قطيعهم الخانع.. وهذا القطيع لا يعنيه وجود مسرح من عدمه أو بصورة أعمق ثقافة من عدمها فهو مكتفٍ بحشو مضلل لنسب أو طقس وقديسة يسقطونها عليها له وطبعاً بما يرمى إليه في اللحظة الراهنة واحتجاجاته أنية عابرة مادية مفرغة من القيم الروحية الحقبة لإنسان العصر منذ ولادة التمدن ودولة المدينة حتى عصرنا..

على أننا ينبغي أن نتحدث بشأن الهوية من منطق وجودها الفعلي بين تلك التي تقر الوحدة في التنوع فلا تخشى الاختلاف بل تتمسك به وتفتتح عليه وتبني ثنائية تخلق اهتماماً بإنتاج الثقافة وفيها خطاب المسرح محورياً جوهرياً لوجودنا المتمدن بخاصة في

لقد دفعنا هذا الفهم المتقدم إلى رفض فكرة أن الفرد هو كتلة ثقافية واحدة متماسكة جامدة ومغلقة فتم اعتماد فكرة أن الذات تتشكل من الوحدة في التنوع [توقف عنده للتوضيح سواء جمالياً أم فلسفياً فكرياً] أو من مجموعة من الهويات الممتدة في تنوعات واختلافات عديدة ناجمة كما مر معنا عن حالات زمكانية وعوامل أخرى كالجنس والإثنية والتاريخ والجنسية واللغة والجنسانية والدين والجماليات وحتى تفاصيل المأكّل والمشرب والأمور السلوكية من تفاصيل اليوم العادي. على أن كل تلك التعددية والتنوع يتجسد في وحدة الذات الاجتماعية المبنية جوهرياً على القيم العامة المشتركة والمعتقدات الاجتماعية السياسية لنظام ينتمي زمكانياً للعصر في الإطار الوجودي للمجموع...

إذا ما تبيننا تلك الحقيقة فإننا نقرب من ولوج مرحلة إنتاج الثقافة بهوية من دونها نكون طفيليات تفتش على الآخر وربما تستغله أو يستغلها ويستعبدوها.. هذه قضية الهوية في الحديث المسرحي وليست القضية عارضة أو بحث عن قوالب جاهزة وكليشيات تمنحنا الجوائز الفارغة بمعانيها ودلالاتها..

إن كل ذات فردي أو جمعي يتكيف مع محيطه مثل المهاجر في مجتمعه الجديد وهذا يجسد دور العامل الذاتي إلى جانب الموضوعي في توجيه السياقات الثقافية إذ يستحيل البحث في شخصية وهويتها ومن ثم في عمقها ونضجها من عدمه وانتقائه إلا في إطار تبني الذات بقرار إرادي مستقل لموقف من الهوية ويظهر هذا بوضوح مع قوة الشخصية وثراء ثقافتها الإنسانية الغنية بتنوعها لكنها الممتلئة لزمّام قرارها ببارادتها المستقلة بخلاف الشخصية السطحية المفرغة من قدرة الإدراك والوعي ونضجها بخلفية الأمتين الأبجدية والفكرية الحضارية وحشو منطق العقل بنطق الخرافة ودجل أباطيلها هنا لا نشاهد إلا شخصية في إطار نظام القطيع ومنظومته القيمة المرضية...

وهوية القطيع ليست هنا الجهلة الأميين فقط لكن المضللين حاملي عبثية النهليستية العدمية يقعون بذات السياق من التخلي عن معنى الوجود وهويته وعن الأسنة ومنطق سلوكها السامي قيمياً يوم نجتهد في قراءة القيمة فلسفياً سوسيوولوجياً، ويحيط بهذا منظومة سيميولوجية توجه طاقة الذات على فهم المحيط ب (الإشارة والرمز والإيقونة).. ولهذا فالمأكّل والمشرب والملبس وتفاصيل أخرى تمنح

## فيلم "اللي باقي منك" ... All that left for you قصة: نتحدث عن مقاومة وتاريخ الشعب الفلسطيني

سينما



علي المسعود



فيلم "كل ما بقي منك" (2025). كتابة وإخراج "شيرين دعبس"، تحكي شيرين دعبس قصة ثلاثة أجيال فلسطينية بين الذاكرة والهوية والمقاومة.

لكن أولاً، نلتقي بعائلة شريف (آدم بكري) ومنيرة (ماريا زريق) وأطفالهما، بما في ذلك سليم الظريف. يتلو الأب (شريف) الشعر أثناء العشاء ويفخر عندما يلقي سليم أبيات من شعر حافظ إبراهيم. مع بعض المشاهد المختارة بعناية، ترسم المخرجة "شيرين دعبس" العلاقة المحببة بين الأب وشريف وأبناءه. لذلك، يكون من المحزن جداً عندما تنفصل العائلة ويضطرون لمغادرة يافا ومنزلهم المحبوب مع بستان البرتقال الذي كان ملكاً للعائلة لأجيال.

يبدأ فيلم "اللي باقي منك" في عام 1988، في الضفة الغربية، عندما نرى صبيين يبلغان من العمر حوالي ثمانية عشر عاماً، يركضان في الشارع. هما نور (محمد عبد الرحمن) ومالك (رضا سليمان). يشاركون في انتفاضة ضد المحتلين الإسرائيليين، ويلاحظ نور النشاط المحيط به ويبدأ في الانضمام إلى الاحتجاجات. يفتح الجنود الإسرائيليون النار ويقفز الفيلم بالزمن إلى عام 1948. دون معرفة ما حدث لنور ومالك، يغمر المشاهد في حدث صادم آخر: النكبة، فصل مظلم في تاريخ القرن العشرين (وهو مصطلح يستخدم لوصف النفي القسري لأكثر من 70,000 فلسطيني عام 1948).

القصة الزمنية التالية تأخذنا إلى عام 1978، عندما تتزوج ليلى، ابنة شريف ومنيرة، قبل هجرتها إلى كندا مباشرة. يعيش الأرمل شريف (محمد بكري) مع ابنه سليم (صالح بكري) وزوجته حنان (شيرين دعبس). واحدة

من أكثر المشاهد صدمة تحدث عندما يضطر سليم لشراء الدواء مع ابنه نور، ويحدث ذلك في مخيم للاجئين الفلسطينيين في مدينة نابلس بالضفة الغربية في العام 1978، حيث تخضع الضفة الغربية لحكم الإدارة المدنية التي نصبها الاحتلال لخلق الناس بقانون منع الجول، لكن رفع حظر التجول الذي أعلن عنه في البداية لا يزال قائماً، ويتم احتجاز الاثنين وتهديده وإهانتهم من قبل الجنود الإسرائيليين (الذين يبدو أن هذا الحادث بالنسبة لهم مزحة). هذا يختبر العلاقة بين الأب والابن (وسيقول صدمة للطفل)، وسيظل يتردد صده طوال حياتهم. لا يكون الإذلال موجهاً إلى الأب وحده، بل إلى صورته أيضاً داخل وعي ابنه. وحين يُهان الأب أمام الطفل، تتصدع صورة الحامي والقوة، غير أن ما يبقى، في المقابل، هو ذاكرة الألم ذاتها، بما تخلقه من وعي مبكر بالمهانة، ومن رفض داخلي للذل.



الضفة الغربية، 1988. ينضم مراهق فلسطيني (نور) بحزم إلى الانتفاضة ضد الاحتلال العسكري. فجأة، يتوقف الزمن. الأم، بوجهها المليء بالألم والعجلة، تخاطب المشاهد مباشرة، مستحضرة جراح الأمل واليوم. من تلك اللحظة، تتشكل قصة ثلاثة أجيال من عائلة مقتلعة، بدءاً من عام 1948، عندما تم طرد أكثر من 700,000 فلسطيني من منازلهم على يد ميليشيات صهيونية. تبدأ القصة بشريف، الجد، الذي يجبر على مغادرة يافا أثناء النكبة. في عام 1978، يعيش ابنه سليم في مخيم للاجئين في الضفة الغربية، حيث يتعرض لهجوم من الجنود في طريق عودته إلى المنزل. بعد عشر سنوات، في خضم الانتفاضة الأولى، يصاب نور الشاب برصاصة أثناء اشتباكه مع الصعوبة في نقله إلى مستشفى متخصص في حيفا والحصول

على موافقات المرور، ينهي الشاب باصابتة (الموت الدماغي) ويصبح رمزاً لجيل لم يعرف سوى المقاومة. من خلال شظايا من الذكريات ولحظات الحياة اليومية، تتشابك القصة بين التجربة الشخصية والتجربة الجماعية، وتعيد صورة قوية ومؤثرة لشعب حرم من أرضه، لكنه لم يحرم من كرامته. إنه سجل حميمي وسياسي، يمتد عبر ثمانين عاماً من تاريخ فلسطين، يروي معنى الوجود، والمقاومة، ونقل الهوية وسط فقدان.

ينتهي الفيلم في عام 2022، قبل عام من فقدان الحكومة الإسرائيلية بقيادة بنيامين نتنياهو عقلها تماماً. في مكتبة، أثناء تناول القهوة أمام شاب إسرائيلي يحمل قلب إبنها، تنطق حنان بصوت هادئ عبارة مقتضبة عميقة: "واصل دفع ثمن الملك كل يوم". تجلس حنان، والدة الشهيد الفلسطيني، مقابل آري، الشاب الإسرائيلي الذي أصبح مصير ابنها مرتبطاً به بعمق. بين الاثنين لا توجد شعارات أو خطاب، فقط الرغبة في إعطاء معنى لشيء لم يكن يجب أن يحدث أبداً. تحتاج حنان أن يعرف آري من كانت عائلتها. من خلال قصتها، نسافر عبر ثلاثة أجيال من عائلة فلسطينية من عام 1948 حتى يومنا هذا. قصة عن الحياة اليومية، والاحتفالات الحميمة، والقرارات الصعبة التي تتشابك مع الأحداث التاريخية التي تميز مرور الزمن. عندما يبدو اللقاء لحظة مكاشفة تاريخية. والسؤال: هل يمكن لإيماءة إنسانية عميقة أن تصالح بين مواجهة تاريخية؟

لاحقاً وفي قفزة زمنية سريعة يحل العام 2022 على سليم وزوجته وقد عادوا مسنين إلى تل أبيب بجوازات كندية، ويبدو سليم شبيهاً بوالده شريف، وفي الوقت الذي تجرف فيه العاطفة زوجته حنان التي لعبت دور

تتمة ص التالية

والرقعة والعمق العاطفي، تستكشف ( دعبس) مواضيع مثل الانتماء، والهجرة، والصراع الثقافي .

يركز الفيلم على الإحساس بالهوية الفلسطينية من خلال أحداث العائلة البطلة التي أجبرت على مغادرة يافا للبحث عن ملاذ في مخيم للاجئين. لكن الجروح الشخصية تجد صدى في مأساة شعب بأكمله الذي لا يزال مستقبلي، اليوم الأكثر غموضاً من أي وقت مضى، يحدد بـماض مؤلم. بالتناوب بين مستويات زمنية مختلفة، تعلق المخرجة " شيرين دعبس": " أول ذكرى لي عن سفري إلى فلسطين لزيارة قريتنا الأصلية كانت عندما كنت في الثامنة من عمري .

إحتجز جنود إسرائيليون مسلحون عائلياً على الحدود لمدة 12 ساعة . كانوا يفتشون في محتويات حقائبنا. واجههم والدي عندما أمرنا بخلع ملابسنا للتفتيش، بما في ذلك أخواتي البالغتين من العمر ثلاث سنوات وسنة واحدة. صرخ الجنود عليه. كنت خائفاً من أن يقتلوا والدي. لا زلت أتذكر بوضوح رحلة السيارة عبر القدس بعد تلك المحنة، فكرت: هذا هو معنى أن تكون فلسطينياً".



\* فيلم "كل ما تبقى منك" هو عمل درامي صدر عام 2025 للمخرجة الفلسطينية الأمريكية شيرين دعبس.

• طاقم التمثيل: صالح بكري، شيرين دعبس، آدم بكري، محمد بكري، محمد عبد الرحمن، ماريا زريق  
• المدة: حوالي ساعتين و 25 إلى 26 دقيقة (145 دقيقة)

• العرض الأول: مهرجان صندانس 2025.  
• الجوائز والحالة: الفيلم المرشح من الأردن لجائزة الأوسكار عن فئة أفضل فيلم دولي، وحصل على تقييم إيجابي بنسبة 100% على موقع "روتن توميتوز" (RottenTomatoes).



الاحتلال الإسرائيلي) وحتى يومنا هذا، ومن خلال الأبطال الثلاثة في كل فصل نستطيع فهم المواقف المختلفة التي يمكن أن يتخذها الفلسطيني في هذا الوضع. النضال، الاستسلام أو التمرد، والعلاقة التي تربطها كل طريق بالقوة التي تضغط بها إسرائيل في أي لحظة . لتحقيق هذا الإنجاز، تمكنت المخرجة " شيرين دعبس" من جمع واحدة من أشهر العائلات في السينما الفلسطينية، محمد بكري، وكان هذا آخر أفلامه قبل وفاته المأساوية، وإبنه صالح وأدم بكري. هذا القرار يمنح الواقعية للأداءات غير الكاملة لكنها مؤلمة، ويجعل هذا الدراما المليئة باللمحظات المألوفة أكثر حميمية. تلعب شيرين دعبس التي اعتادت أكثر على الوقوف خلف الكاميرات، دوراً متميزاً .

عملنا هو شكل من أشكال المقاومة"، يشرح الممثل "صالح بكري": "الأمر يتعلق بسرد القصص لتجنب المحو: في حالتنا، تم دفع التاريخ والسرد الفلسطيني إلى زاوية مظلمة من قبل أنظمة إعلامية قوية تسيطر عليها الصهيونية " ، تعرض والده، محمد بكري، لعشرين عاماً من الرقابة والاضطهاد القضائي بسبب فيلم وثائقي بعنوان "جنين، جنين" (2003)، حيث روى الهجوم الإسرائيلي على مخيم للاجئين في الضفة الغربية . "شيرين دعبس"، مخرجة وكاتبة سيناريو وممثلة فلسطينية أمريكية تعيش في نيويورك، هي واحدة من أكثر الأصوات أصالة ووضوح في السرد العربي الأمريكي المعاصر. من خلال عملها، أعاد تعريف طريقة تمثيل الهويات الشرق أوسطية على الشاشة، تسلط الضوء على قصص حميمة وعالمية غالباً ما يتجاهلها التيار السائد. بأسلوب يجمع بين السخرية

الراوي الشاهد لأحداث الفيلم الى مقابلة الشاب الإسرائيلي الذي يحمل قلب ابنها، يفضل سليم أن يتجول في شوارع يافا المحتلة مردداً عبارات والده، ومنذفعاً نحو بيته القديم وشاطئ البحر . فيلم عميق، يتحدث إلينا عن الهوية من خلال قصة دراما عائلية تمتد عبر ثلاثة أجيال. فيلم "كل ما تبقى منك" لـ شيرين دعبس " هو أكثر بكثير من مجرد سرد تاريخي: إنه معالجة سياسية وإنسانية ذكية وموضوعية، وفي الوقت نفسه، قصة حميمة تستكشف المشاعر الفردية والجماعية، تنجح المخرجة في منح أبطاله سرداً وعمقاً عاطفياً استثنائياً. لا يقتصر الفيلم على إدانة الظلم الذي يعاني منه الشعب الفلسطيني، بل يكشف حجم الوجد والمعاناة وصعوبة العيش تحت الاحتلال .



في " اللي باقي منك"، تقدم المخرجة والممثلة الفلسطينية-الأمريكية شيرين دعبس قصة مؤثرة مستوحاة من تاريخ عائلتها الخاص. كما تلعب دور حنان في الفيلم . إنها سردية مؤطرة، تحكي حنان قصة عائلتها - فقد تزوجت سليم وأصبحت جزءاً منها - لشخص لا يظهر على الشاشة. هكذا تبدأ اللقطات الأولى للفيلم . ومن مشاهد الرعب واللا إنسانية التي لن نراها تتكرر تحت هذا السماء وبدلاً من ذلك تعود للظهور من معسكرات السجن حيث نرى أحد أبطال الفيلم محتجزاً، جائعاً وكاد أن يقتل بسبب العمل . "لكي تعرف قصة ابني، يجب أن تعرف أولاً قصة جده "، هكذا يبدأ الفيلم حيث تكسر شيرين دعبس، الجدار الرابع. لقد عاش الشعب الفلسطيني ما يقرب من قرن من المعاناة. وبهذا السرد ، لا تقدم المخرجة مشاهد فقط ، بل تجعلنا أيضاً نشهدوا مباشرين على الصراع . ينتبع الفيلم ثلاثة أجيال من نفس العائلة من نكبة عام 1948 (تهجير السكان الفلسطينيين المحليين بعد

## الكاتب الألماني: توماس مان ... Thomas Mann وطن من لغة، وحياء من كتابة



هاشم معقوق

أن يبتعد عنه لكنه لا يهجره حقًا. كلما أخذته الحياة بعيدًا عاد إليه، وكلما أثقلت الظروف وجد في الصفحة مكانًا يبدأ منه من جديد. ولهذا فإن قصة توماس مان ليست قصة كاتب كتب روايات عظيمة فقط، بل قصة إنسان وجد في الكتابة طريقة لكي يفهم ما يحدث له وللعالم من حوله. وحين كتب «بودنبروك» لم يكن يكتب تاريخ عائلة فحسب، بل كان يكتشف أن العائلة يمكن أن تكون صورة مصغرة لعالم كامل. فالببيت ليس جدرانًا وأثاثًا وأسماء، إنه ذاكرة، وفي داخله تتراكم عادات الأجيال وطموحاتها وخيباتها ومخاوفها وما تورثه من قيم وما تعجز عن توريثه. ولهذا أصبحت بودنبروك أكثر من رواية عن أسرة ألمانية؛ أصبحت رواية عن الزمن وهو يعمل ببطء داخل الناس. الجيل الذي بنى مكانته يرى العالم بطريقة، والجيل الذي يأتي بعده يراه بطريقة أخرى، وما كان يبدو للأب ضرورة قد يبدو للابن عبئًا، وما كان الأب يعدّه فضيلة قد يراه الابن قيدًا. ولا يحدث الانهيار فجأة، فالأشياء الكبيرة نادرًا ما تسقط دفعة واحدة؛ يبدأ التغير في التفاصيل الصغيرة، في طريقة التفكير، وفي العلاقة بالعمل، وفي معنى النجاح، وفي العلاقة بين الفرد والجماعة، وفي المسافة التي تكبر شيئًا فشيئًا بين ما يريده الإنسان وما ينتظره منه الآخرون.

\* كان بول توماس مان (1875-1955) كاتبًا ألمانيًا واحدًا من أبرز روائيي القرن العشرين. وقد نال جائزة نوبل في الأدب عام 1929 عن روايته الأولى الضخمة (Buddenbrooks). وتتميز أعماله الأدبية بالعمق النفسي، والسخرية المبطنّة، والرموز الاجتماعية متعددة الأبعاد.

تتمة ص التالية

وقد يكون انتقال الطفل من مدينة إلى أخرى أكثر من مجرد حدث في السيرة؛ إنه أول درس في معنى المكان. فالإنسان لا يعرف قيمة المكان دائمًا وهو يعيش فيه، وقد يراه شيئًا طبيعيًا مثل الهواء، ثم يبتعد عنه فيكتشف أنه كان يحمل جزءًا منه في داخله. ولهذا ستعود فكرة المكان في أدب مان بأشكال مختلفة، كما ستعود الذاكرة والأسرة والزمن الذي يغير الناس من دون أن يستأذنها. لم يكن الأدب عنده منفصلًا عن الحياة اليومية، بل كان طريقة أخرى للنظر إليها. فالطفل الذي يرى العائلة وهي تتغير، والبيت وهو يفقد استقراره القديم، والمدينة وهي تترك مكانها لمدينة أخرى، يبدأ دون أن يدري في اكتشاف واحدة من أهم حقائق الحياة أن الأشياء لا تبقى كما هي، وأن الزمن يعمل في الإنسان قبل أن يشعر به. وهذا الوعي المبكر بالزمن سيصبح لاحقًا واحدًا من أسرار عالم مان الروائي؛ فالزمن عنده ليس ساعة تتحرك، بل قوة تدخل في العائلة والجسد والرغبة والمجتمع والتاريخ، وتغير الإنسان من الداخل. ولهذا حين نقرأ أعماله لا نجد الشخصيات واقفة أمام الزمن، بل نراها تعيش داخله، تكبر وتتغير وتخسر وتعيد النظر وتكتشف أن العالم الذي ورثته ليس العالم الذي ستركه للأجيال التالية.

ومن هذه العين خرج الكاتب، لكن الطريق إلى الكاتب لم يكن خاليًا من الحياة العادية؛ كان هناك العمل والقراءة والصحافة والأسرة والعلاقات والطموح والبحث عن المكان الذي يستطيع فيه أن يصبح نفسه. فالكاتب لا يعيش في برج منفصل عن الحياة، وحتى أكثر الكتاب تجريديًا يحملون معهم تفاصيل يومية لا تظهر في الكتب إلا بعد أن تتحول داخلهم. قد تكون نبرة أم، أو طريقة أب في الكلام، أو غرفة قديمة، أو شارعًا لا يعرف الإنسان لماذا بقي في ذاكرته، أو شعورًا غامضًا بأنه كان يومًا شخصًا آخر. ثم تأتي الكتابة فتلتقط هذه الأشياء، وتعيد ترتيبها، وتمنحها حياة جديدة.

وهنا تبدأ العلاقة التي سترافق مان طوال عمره الكتابة. لم تكن مجرد مهنة، ولا وسيلة للشهرة، بل المكان الذي يستطيع الكاتب أن يعود إليه كلما تغيرت الأمكنة، وربما كانت بالنسبة إليه الحبيب الأول، الحبيب الذي يستطيع الإنسان



هناك كتّاب يغادرون أوطانهم، لكن أوطانهم لا تغادرهم، وهناك كتّاب يكتبون عن الحياة ثم تتحول حياتهم نفسها، مع مرور الزمن، إلى مادة للأدب. توماس مان جمع الأمرين معًا؛ حمل ألمانيا معه حين غادرها، وحمل لغته حين ابتعد عن المكان، وحول سنوات المنفى والحرب والقلق إلى أسئلة عن الإنسان والثقافة والضمير. لم يكن طريقه إلى الأدب طريقًا مستقيمًا نحو المجد، بل بدأ من أشياء تبدو صغيرة: بيت، وأسرة، ومدينة، وطفولة، وذاكرة، وعين أخذت تتعلم النظر إلى ما حولها قبل أن تعرف أن النظر نفسه يمكن أن يصبح يومًا أدبًا. فالكاتب لا يبدأ عندما يكتب أول كتاب، بل يبدأ حين يتعلم أن ينتبه. البيت الأول يدخل إليه قبل أن يعرف كيف يصفه، والأم تحفظ تفاصيل طفلها قبل أن يعرف الطفل أن هذه التفاصيل يمكن أن تصبح ذات يوم جزءًا من ذاكرته، والأب يترك في داخله صورة عن العمل والمسؤولية والمكانة، والإخوة يفتحون أمامه عالمًا من القرب والمنافسة والمودة والاختلاف، والمدينة تمنحه أول إحساس بالمكان، بالشوارع والبيوت والوجوه والأصوات. كل ذلك يبدو عاديًا في لحظته، لكن الأدب يعرف كيف يحفظ ما لا ننتبه إليه. ولد توماس مان في لوبيك عام 1875، في بيئة عائلية ميسورة ذات حضور اجتماعي وثقافي، وكان والده رجل أعمال وشخصية عامة في المدينة، لكن وفاة الأب المبكرة غيرت مسار الأسرة، وانتقلت العائلة إلى ميونيخ، حيث بدأت مرحلة جديدة من حياته.



ويظهر الزمن مرة أخرى، لكن الزمن في الجبل ليس هو الزمن نفسه في الحياة اليومية؛ الأيام تتشابه، والأسابيع تمر، والإنسان الذي جاء ليبقى أياماً قد يجد نفسه قد بقي أشهراً ثم سنوات. وهنا يصبح الزمن تجربة نفسية، فقد تمر سنة علناً للإنسان وكأنها أسبوع، وقد تمر لحظة واحدة وكأنها عمر كامل. فالإنسان لا يقيس حياته بعدد الساعات فقط، بل بما حدث داخله خلالها، ولهذا يمكن لسنوات أن تمر بلا أثر، ويمكن للحظة واحدة أن تغير حياة كاملة. ومن هنا يتسع الأدب عند مان؛ لم يعد يهتم فقط بما يحدث للشخصيات، بل بما يحدث داخل الزمن نفسه، وكيف يشعر الإنسان به وكيف يختصره ويطيله وكيف يصبح الانتظار جزءاً من الحياة. لكن خلف كل هذا التأمل كانت أوروبا تتحرك نحو كارثة كبرى، وكانت الرواية تلتقط شيئاً من المناخ الروحي والفكري الذي سبق الانفجار. كانت القارة تتجادل حول المستقبل بينما كان المستقبل يقترب بسرعة، ولم يحتج مان إلى أن يكتب رواية سياسية مباشرة لكي يلتقط روح عصره، كان يكفي أن يجعل شخصياته تتحدث، فالزمن يتسرب من كلامهم، والقلق يظهر في أفكارهم، والاختلافات التي تبدو فلسفية تكشف في العمق عن أزمة حضارية.

ولهذا تجاوز الجبل السحري مكانه وزمنه؛ فالمرض في الرواية ليس مرض الجسد فقط، هناك مرض آخر، مرض الأفكار حين تتحول إلى تعصب، ومرض المجتمع حين يفقد قدرته على رؤية الإنسان خارج الشعرات، ومرض الحضارة حين يصبح العقل قادراً على تفسير كل شيء لكنه عاجز عن منع الكارثة. وهكذا يصبح الجبل، رغم ارتفاعه، مكاناً للرؤية لا للهروب. ومن أعلى الجبل يمكن أن يرى الإنسان ما لم يكن يراه في الأسفل، وهذا ما فعله مان؛ صعد من تفاصيل العائلة إلى رؤية أوروبا، لكنه لم ينس الإنسان الذي بدأ منه، وظل يرى الفرد داخل التاريخ والجسد داخل المجتمع والرغبة داخل الأخلاق والمرض داخل الثقافة والزمن داخل الإنسان.

وهذه القدرة على الانتقال من الخاص إلى العام هي التي جعلت مان كاتباً عالمياً، فهو لم يكتب عن الإنسان العالمي بوصفه فكرة مجردة، بل كتب عن أشخاص محددين في

يتبع 2 في العدد القادم

داخل تاريخ أكبر منه. ومن هذه المرحلة تقدمت كتابته نحو أعمال أكثر اتساعاً، حتى وصل إلى الجبل السحري، حيث لم يعد البيت وحده هو العالم، بل أصبح العالم نفسه بيتاً كبيراً يعيش داخله الإنسان محاطاً بالأفكار والمرض والخوف والموت وانتظار المستقبل. تدور الرواية في مصح جبلي في سويسرا، حيث يذهب الشاب هانس كاستورب لزيارة ابن عمه فيجد نفسه مقيماً فترة أطول مما توقع، وهناك تبدأ لعبة الزمن. في الأسفل عالم الحياة اليومية، وفي الأعلى عالم آخر يبدو منفصلاً عن التاريخ، لكن المفارقة أن هذا المكان المعزول كان يحمل داخله أوروبا كلها: مرضى من طبقات وأفكار وبلدان مختلفة، وأحاديث عن السياسة والدين والفلسفة، وجدالاً حول العقل والإيمان والتقدم والتقاليد والحرب والسلام، وكان مان وضع أوروبا داخل مصح ثم ترك شخصياته تتحدث حتى تكشف بنفسها ما الذي كان يحدث في القارة. المكان المعزول لا يبعدنا عن العالم، بل يجعل العالم أكثر وضوحاً، وحين يبتعد الإنسان قليلاً عن الضجيج يستطيع أن يسمع الأفكار التي كانت تختبئ داخله.



وهكذا يصبح الجبل مخبراً للإنسان الأوروبي، لكن مان لا يقدم أفكاره في صورة محاضرات مباشرة، بل يمنح الشخصيات أصواتها ويجعلها تختلف وتجادل وتتناقض وتدافع عن أفكار قد تبدو للقارئ متعارضة تماماً. وهذه من علامات نضجه، فالكاتب في بداياته قد يريد أن يثبت للقارئ أنه يعرف، أما الكاتب الناضج فيعرف أن مهمته أحياناً أن يجعل القارئ يرى بنفسه. لذلك كان الحوار الفكري في «الجبل السحري» جزءاً من بناء الشخصيات، لا مجرد زينة ثقافية، فكل شخصية تحمل تصوراً للعالم، وكل تصور يكشف شيئاً من الإنسان الذي يحمله.

وهنا التقط مان مبكراً أن التاريخ لا يدخل البيت دائماً من الباب الكبير، بل قد يدخل من خلال شخص أو قرار أو زواج أو خسارة أو اختلاف بين أب وابن، ثم يتسع الاختلاف حتى يصبح علامة على أن زمناً كاملاً بدأ يتغير. لذلك لم تكن الرواية العائلية عنده ضيقة، بل كانت نافذة على المجتمع؛ فالأسرة تحمل داخلها الطبقة الاجتماعية والاقتصاد والدين والأخلاق ونظرة الناس إلى العمل والنجاح والمكانة، وحين تتغير هذه الأشياء تتغير الأسرة معها. ولم يكن همه أن يقول للقارئ هذا جيد وهذا سيئ، بل أن يجعله يرى كيف تتشكل الأشياء وكيف يمكن للإنسان أن يصبح أسيراً لقيم وورثها من غير أن يسأل نفسه إن كانت ما تزال صالحة لحياته. ومن هنا بدأ السؤال الذي سيكون مع مان: هل يستطيع الإنسان أن يعيش وفق ما ورثه، أم أن عليه أن يعيد اكتشاف نفسه؟ وهذا السؤال لا يخص العائلة وحدها، بل يخص المجتمعات كلها، فكل مجتمع يرث لغة وتقاليد وقيماً وصوراً عن نفسه، ثم يأتي زمن يتغير فيه العالم فيجد الإنسان نفسه أمام خيار صعب: هل يحافظ على كل شيء لأنه قديم، أم يتخلى عن كل شيء لأنه قديم، أم يبحث عن طريق ثالث؟ وهذا الطريق الثالث هو الأصعب أن تعرف ما الذي يستحق أن يبقى وما الذي يجب أن يتغير. وهنا تظهر قيمة الكاتب، فالكاتب الحقيقي ليس حارساً أعمى للماضي ولا متمرداً أعمى عليه، بل ينظر إلى الماضي ويحاول أن يفهمه، ثم ينظر إلى الحاضر ويحاول أن يرى إلى أين يذهب. ومن هنا اتسعت عيون مان، فلم تعد العائلة وحدها كافية؛ كان هناك المجتمع والزمن والسؤال الأكبر عن أوروبا نفسها. ثم جاءت الحرب العالمية الأولى، فوجد نفسه أمام عالم يتغير بسرعة أكبر مما يستطيع الفرد أن يستوعب، ولم تعد أوروبا التي عرفها في شبابه هي أوروبا نفسها، والحرب كسرت أشياء كثيرة وأجبرت المثقف على إعادة التفكير في العلاقة بين الثقافة والسياسة والتاريخ.

وهنا أصبح الأدب عند مان أكثر تعقيداً، فلم يعد يكتفي بتسجيل الحياة، بل بدأ يسأل عن الأفكار التي تحركها، وعن العقل الذي يقف وراءها، وعن الإنسان الذي يجد نفسه فجأة

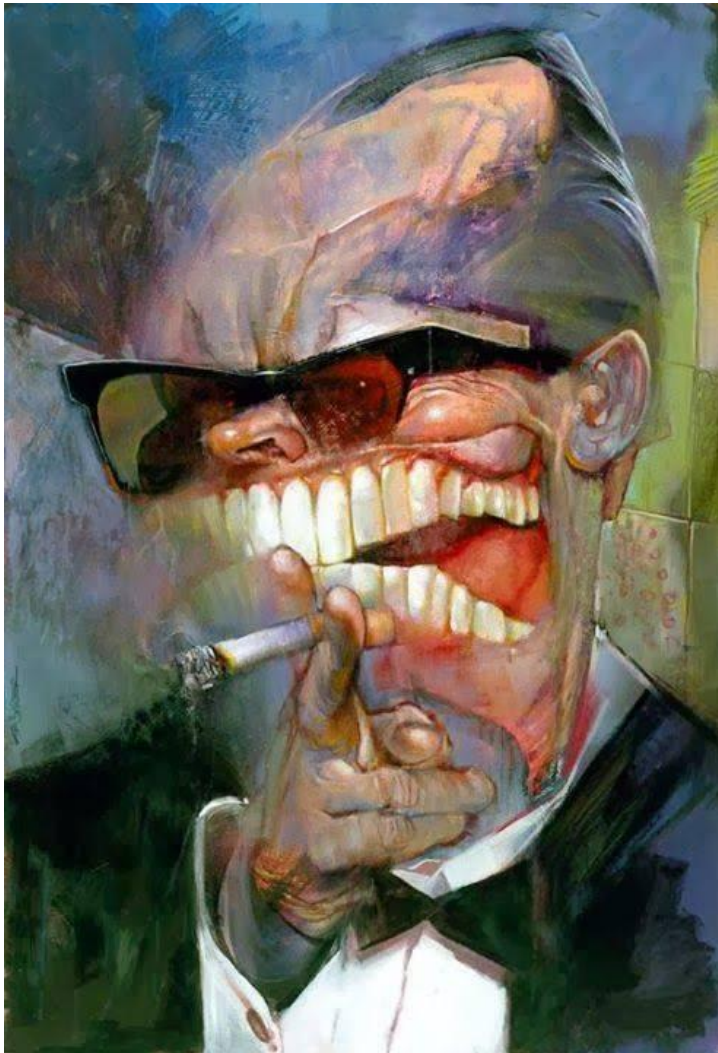
## مَنْصُور الْبَكْرِي الْإِنْسَان.. رَحَلَ بِهَدوءٍ إِلَى السَّلَامِ الْأَبَدِيِّ ، لَكِنْ إِبْدَاعُهُ الْفَنِّي سَيُخَلِّدُهُ



منصور البكري

ولد في 19 يناير 1956 - رحل يوم الخميس 4 نوفمبر - تشرين الثاني 2021

"صوت الصعاليك" تنشر رسوم الكاريكاتير للفنان الراحل ((منصور البكري)) التي قام بوضعها في ملف خاص للنشر في الصفحة الفنية التي كان يشرف على تحريرها في "صوت الصعاليك" منذ إصدار عددها الأول في 1 يناير 2021... ننشر ما لدينا من رسوم لشخصيات عراقية وعربية وعالمية.



## الكاريكاتير البغدادي

مختارات هذا العدد - 15 تشرين أول 2026



## مستقبل العراق

ديموقراطية على الطريقة الأميركية